

التعابير الكنائية في العربية: سيرورة وصيرورة

أ.د. سمى فتحي نعجة

الجامعة الأردنية - عمان

إضاءة: التغير سيرورة وصيرورة

"إن شئنا حقا أن نغير و نغير فلا بدّ من أن تنكسر الصخرة ذاتها"⁽¹⁾

الملخص

يؤسس هذا البحث لقراءة تحليلية سياقية حضارية للخطاب التعبيري الكنائي الحديث، تقارب الواقع التواصلّي اللغويّ، وتحيل إلى معانيه ودلالاته الضمنية ولوازمه، وتستشرف آفاقه وتنوّعاته وروافده وفاعليّته التخاطبية القيمية في ضوء تعدّد المرجعيّات وتغيّرها، وتباين الأداءات اللسانية بين العفوية الدارجة في منطوق أفراد الجماعة البشرية، ومقصديّة تداولها في بعض الكتابات الصحفية والأدبية وأدب السخرية، وفي ضوء الثقافة القسريّ بين الأنا والآخر الذي أفضى إلى تغيّر النّسق تصوّري لأفراد الجماعة اللغوية في البيئة العربيّة بعامة، والأردنيّة بخاصّة من غير نكران للذات وخصوصيّتها.

فالتّواصل بالتعبير الكنائي الحديث وسيلة مركزية في التواصل الإنسانيّ اليوميّ نحو (بلّط البحر) كناية عن عدم الاكتراث لموقف الشخص المقابل، و(تحت البلاطة/ على الحديدية/ على الحصيرة/ أكل روح الخلّ) كناية عن الإنسان المعدّم الحال، و(معه مال حبطرش/ عظمه ذهب/ فوق الريح) كناية عن الغنى، و(عقله خزق) كناية عن ضيق الأفق، و(فلان كمّونة/ جلدة / يحلب النملة) كناية عن البخل، و(يلعب في الوقت الضائع)، و(عدّاده على الصفر/ الزيرو) كناية عن غياب العقل، و(مُخّه يحتاج إلى فرمطة/ غير ال (سوفت وير)) كناية عن ضرورة منّهجة عمليّات التفكير، و(فلان داعس

على الأول) كناية عن التمثّل والحیطة، وغيرها؛ لأنّ التّواصل بالتعبير الكنائيّ الموروث في البلاغة العربيّة وتعليمه في المناهج المدرسية والجامعيّة في ضوء نسبيّته وغربته القيميّة والحضاريّة عن كثير ممّا يحاكي واقع المتعلم، ويلامس مخياله قد يفضي إلى مأزق تواصلّي.

وإذا كان الاعتراف من الموروث يعني الأصالة في بعض جوانبه، فتضمين التعبيرات الكنائيّة الجديدة الشائعة: الفصيحة والقابلة للتفصيح يعني المعاصرة؛ ذلك أنّه يحوّل دون صدمة المتلقّي الثقافيّة من جهة، وينأى به عن الحكم بالمعياريّة وازدواجيّة العربيّة بين الأصالة والمعاصرة، والتّصوّر والتمثّل من جهة ثانية، ويحوّل كفايته اللغوية إلى كفاية تواصليّة من جهة ثالثة، ويخلق الدّافعيّة للانتماء المقوليّ للمجتمع اللغويّ التعليمي من جهة رابعة، ويقرّ بالتطوّر اللغوي ويدعو إلى ضرورة مراجعة التعبيرات الكنائية التقليديّة المستعارة من الموروث، وإخضاعها لقانون الإحلال والاستبدال المحتكم إلى قانون العرض والطلب؛ حيث للدّوالّ والتعبيرات الكنائية تاريخ صلاحيّة من جهة خامسة؛ ذلك أنّها تُسكّ كما تسكّ العملات، وتظلّ متداولة ما دامت سارية المفعول.

Metonymical Expressions in Arabic: the Common and Becoming

This research paves the ground for an analytical, contextual, and cultural reading for the modern metonymical expressive discourse that approximates the linguistically communicative reality, along with its meanings and its connotations, requirements. In addition, this research focuses on the horizons, diversities, sources and the validity of this communicative discourse in the light of the variety of its references and changing grounds, and the discrepancy in its linguistic performances from the spontaneous to the colloquial within the spoken

language of human groups and the intended in some journalistic, literary and satire s writing, in the light of the exchanged culture between the self and the other that lead to the change in the visual symmetry of a certain linguistic group in the Arabian environment and the Jordanian in particular, without the denial of the self and its privacy.

Communication through modern metonymical expressions is a central mean in the daily human intercourse such as, **tile the sea** denoting the careless towards the attitude of other persons; and **under the tile, on the iron, on the carpet, eating the vinger**: these expressions denote the penury of the individual; or the expressions of **he has lots of money, his bones are gold, above the wind**, that denote wealth; or his mind is whole that denotes narrow mindedness. Or the expressions he is a **round leather, he milk the aunt** which denote misery or playing in the waste time, **his meter is zero** denoting mind-absentness or **his brain needs formatting/ he change his format** that denotes the need to change mind-set, or **he driving on the first gear** denoting slowness and cautiousness. These expressions and others are part of the communication through the use of traditional metonymical expressions in the Arabic rhetoric taught in the school and university curriculum. Such communicative expressions are bizarre, rarely used though they imitates the reality and reflects the imagination that might lead to a communicative crisis.

The utilization of the traditional means originality in some of its aspects, for the use of new common metonymical expressions, the eloquent and the colloquial means being contemporary, which prevents any cultural shock for the perceiver on one hand, and alienating oneself from being judged by standard Arabic and avoiding duality between the traditional and the contemporary, the visual and the imitative on the other hand. Using common metonymical

expressions changes linguistic competence to communicative competence and creates the motivation to belong to an linguistic, educated community , as well as admitting the linguistic evolution and calls for the necessity of revising the metonymical expressions that ate borrowed from tradition and subjecting the to the law of substitution and transference according to demand and supply from the point-of-view of circulation of the metonymical expressions that are old-fashioned since such expressions are coined in the same manner as the coinage of currency and remains as such as long as they are valid.

التغيّر ناموس الخلق؛ أمانة على حركة دائبة، ونفس فاعلة ومنفعلة، أمانة بالمغامرة والتجريب والتجديد، مهجوسة بتكاثر الأسئلة، والتقديم والتأخير، والحذف والزيادة، ودوام الهدم والبناء، مفتوحة على فيوض العقل والتأويل، ممهورة بسؤالات تنتصر لجدلية الأنا والآخر، ومفارقة النمط والقالبية والرتابة، والتفلت من قيود العرف والسائد والمألوف والعادة، وتجاوز الوصف والتقليدي في البنى العميقة في شتى مقولات الحياة.

التغيّر علامة كل ذات معمورة بالعصيان على الجبرية النصية التي تنغلق على الذات، وتتعصب للتراث، وتكرس شرعيته، وترفض روافد الآخر، وتحتكر الإبداع والريادة، وتثبت المسلمات، وتصادر التعددية، وتمركز القديم، وتهتمش الجديد، وتمعير الرؤى على وفق ذهنيات سلطوية تحترف الإقصاء والإلغاء واغتيال الرأي والشخصية، وتسويغ مبدأ الوصاية والتبعية الضريرة، وتقليص الهويات، والانحياز إلى الكينونات والشرعيات الثابتة المقفلة، والبر بالمرجعيات المسبقة التي ترسخ أن ما ترك الأول للآخر شيئاً، وليس بالإمكان أبدع مما كان، مما يؤدي "إلى

مزيد من انكماش الذات، أي إلى مزيد من التراجع حضاريًا، وانحسار الإبداع والطاقت الإبداعية ثقافيًا، بتأويل ثقافة الذات وقراءة إبداعاتها المنجزة لا في أفق التثبيت التقديسي، بل في أفق المراجعة والنقد والتجاوز على أساس الاحترام الكامل لحرية الآخر⁽²⁾؛ لأنَّ التَّغْيِيرَ سيروية وصيرورة تحتكم في التكيّف الزمني والمكاني والذاتي والتحوّل إلى حالة تفاعل مع الواقع، بالارتكان إلى التجربة الشخصية الحية التي تستفيد من تجارب السلف، وتستأنس بمعارفهم وتتجاوزها؛ فتتّم نقصًا، أو تُقوّم اعوجاجًا، أو تسدّ فراغًا، وهو مُفَضّ بالضرورة إلى التنوّع، وهما (التغْيِير والتنوّع) في ذاتهما جوهر الإنسان والثقافة⁽³⁾، وركنان وجوديان مفصليّان، ومجلى الإرادة الإنسانية والابتكار والتجديد.

اللغة حدث لسانيّ متغيّر

اللغة حدثٌ لسانيّ اجتماعيّ متغيّر؛ نظامٌ مفتوحٌ على جملة من الأنظمة والمستويات الصوتيّة والصّرفيّة والتركيبيّة النّحويّة: البسيطة والمركّبة، والمعجميّة الدلاليّة: الحقيقية والمجازية، الظاهرة والمستترة؛ المرتبنة في إسنادها وسلوكها اللغويّ، وتماسكها العلائقيّ العامّ والخاصّ، وفقه قيمتها⁽⁴⁾ التعبيريّة والخلافيّة، والهامشيّة والمركزيّة، ونسقتها تصوّريّ، إلى سياق متغيّر أيضًا؛ منوط بعلاقة تلازميّة⁽⁵⁾ تستجيب لتحوّلات أفراد الجماعة اللغوية، ومحمولاتهم الثّقافيّة، ومقاصدهم، واحتياجاتهم التعبيريّة البلاغيّة والتواصلية الإبلاغيّة للنهوض بهذه التّحوّلات بما يتواءم وسياق الحال والمقام⁽⁶⁾. ف "اللغة ليست كينونة مغلقة، ولا جزيرة معزولة؛ ذلك أنها تتمظهر على ألسنة الناطقين بها، ويتحقّق وجودها الفعليّ بهم؛ تعرف بهم، ويعرفون بها، فتكون رمزًا للهويّة... وهي في جدل مع النّاطقين بها على أنحاء شتى، فإنما يحيون بها كأنما هي الهواء الذي يتنفسونه... بل إنها تموت... وهي تمتد بامتدادهم، وترتد بارتدادهم،...، وهي تتقلّب وفقًا لأحوالهم وشروط

حياتهم؛ تتوهج وتخبو وفاقاً لأحوالهم، وترقى وتسفل وفقاً لمواضعاتهم وأوضاعهم. فهي مجمع الأضداد؛ بها يتوآدون ويتراحمون، وبها يتناكرون ويتباغضون، فهي- في ذاتها- محايدة؛ إذ تكون رابطة جامعة لقلوب الناطقين بها، وتكون أداة للآخرين في حرهم النفسية وغسل أدمغة الناطقين بها"⁽⁷⁾

والتغير/ التطور اللغوي صعوداً أو هبوطاً حتي؛ لا ينهض مصادفة، ولا يحتكم لقرارات فردية اعتباطية إنما يحتكم للمواضعة العرفية بين أفراد الجماعة اللغوية، ولسن التطور التدريجية الطبيعية التقنية والتقنيّة: الدّاخلية والخارجية في البنيّتين: اللغوية والمجتمعية التي تحتم بإنزال الدوالّ اللغوية صوتاً وصرفاً ونحواً وتركيباً منازل⁽⁸⁾ تتباين بين المتواتر والآحاد، والمرسل والمنقطع، والمصنوع والموضوع، والفصيح والضعيف والمنكر والمتروك، والرديء والمذموم، والحوشي والغريب، والشارد والنادر، والمطرّد والشاذّ، والمهمّل والمستعمل، والمفرد والمختلف والمؤتلف، والمعرب والمولد، أي بثبات بعض الدوالّ، وبتحول بعضها وتكيفها وانزياحها، وباستحداث دوالّ أو مدلولات جديدة⁽⁹⁾. يقول رمضان عبد التواب: " وتطور اللغة هذا لا يجري تبعاً للأهواء والمصادفات، أو وفقاً لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية مطردة النتائج، واضحة المعالم، محققة الآثار، ولا يد لأحد على وقف عمله، أو تغيير ما تؤدي إليه، فليس في قدرة الأفراد أن يَفْقُوا تطوّر لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يسيروا بها غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعيّ، فمهما أجادوا في وضع معجماتها، وتجديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط أصواتها وقواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال؛ قراءة ونطقاً، وفي وضع طرق ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصّد، ومهما بذلوا من قوّة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن

وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور⁽¹⁰⁾

اللغة كيان بلاغيّ إبلاغيّ متغيّر

اللغة كيان بلاغيّ يعبر بالّيات شتى تتباين بين أبنيتها الاشتقاقية التوليدية ولوازمها الإسنادية والتركيبية، وآفاقها التخيلية، وتصوّراتها الاستعارية والكنائية، وروافدها المعرفية عن تجارب أفرادها وما يمور في جوانبهم من هواجس وانفعالات.

واللغة كيان إبلاغيّ يستجيب لقانون الإهمال والاستعمال، والإحلال والاستبدال، والتعميم والتخصيص، والعرض والطلب فيراعي تداولية الدوالّ والتراكيب اللغوية الحقيقية والمجازية أو انخفاض قيمتها أو استهلاكها وانتهاء صلاحيتها⁽¹¹⁾، كما يراعي مطلب التوافق اللغوي الجماعي والدقة اللغوية الآمنة التي تحقّق الكفاية التواصلية لشرائح المجتمع كافة بصرف النظر عن منابهم ومرجعياتهم العمرية والجندرية والثقافية والمهنية، " فالكفاية اللغوية للمخاطب كفيلة بالقيام بتركيب الرسالة المبلغة تركيباً سليماً لأداء مهمة الإبلاغ، والإفادة إحداً وإفهاماً، وتتكفل كفايته التخاطبية بنجاحه في استخدام المقولات اللغوية استخداماً مناسباً للسياقات المختلفة، ومعيناً على تحصيل غاية التفاهم بينه وبين المخاطب". والجملة المقبولة لسانياً هي الجملة التي ينتجها المتكلم في سياق مخصوص ويقبلها سائر مستعملي اللغة على أنها تنتمي إلى لغتهم⁽¹²⁾، وهو انتماء قيميّ لا يقف عند حدود السلامة النحوية وحسب.

وإن صحّ ما روي عن أمّ الهيثم الأعرابية أنها اعتلتّ " فزارها أبو عبيدة، وقال لها: ممّ كانت علّتك؟ فقالت: كنتُ وحي سديكة، فشهدتُ مأدبة، فأكلتُ جُبْجُبة، من صفيّفٍ هلّعة، فاعترتني زُلْخة⁽¹³⁾. قلنا لها: ما تقولين يا أمّ الهيثم؟ فقالت: أو

للتّاسِ كلامان؟" (14) فهو شاهدٌ على التّطوّر الدّاليّ التّعبيريّ بين البيئات اللغويّة في الزمن الواحد، فكيف تكون الدوالّ وقيمها الحضوريّة التّعبيريّة في ضوء تغيّر الزّمان والمكان، وتجدد النّشاط الإنسانيّ، وتباين تجاربه ومقولاته الاجتماعيّة والفكريّة ومشاربه الثقافيّة والحضاريّة وخصوصيّتها؟

ولعلّ قول ابن فارس: "كانت العرب في جاهليّتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وأدائهم ونسائكهم وقرايبهم، فلمّا جاء الله تعالى بالإسلام؛ حالت أحوال، ونُسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضع إلى مواضع أُخريّزادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعقّى الآخر الأوّل" (15) شاهد أيضًا على الحتميّة الجدلية بين اللغة والحياة التي تفضي إلى تغيّر مطّرد في المشهد اللغويّ دالا ومدلولا وأداء تعبيريا.

فقد نصّ في كثير من كتب اللغة ومعجمات العربيّة على دوال وأساليب لغويّة شتّى (16) بأنّها من المتروك استعمالا بعد الإسلام نحو: (أنعم صباحا)، و(أبيت اللعن)، أو أنها مما عُرف وشاع استعماله بعد الإسلام نحو: (الجاهليّة)، و(لا ينتطح فيها عنزان) كناية عن عدم اجتماع اثنين ضعيفين لأنّ النّطاح من شأن التّيوس، و(الآن حيي الوطيس) كناية عن شدة الأمر واضطرار الحرب.

وحركة التّأليف اللغويّ في العصر الحديث شاهد أيضًا على معجمات وكتب لغويّة، رصدت دوالّ وأساليب لغويّة، وأداءات تعبيريّة استعاريّة وكنائيّة فصيحة وعاميّة شاعت في مهارتي اليد واللسان في الثقافة العربيّة أحدثت بالتوليد أو بالاقتراض أو بالمجاز نظرًا للتّغيّر الذي أصاب البنية المجتمعيّة فاستلزم تغيّرًا في البنى والأساليب اللغويّة التي تعبّر عن واقع المرحلة وتشهد على منجز أفرادها وتفاعلهم مع الإحداثيات الجديدة. ك (معجم التعبيرات الاصطلاحيّة) لمجموعة مؤلفين، و(المعجم الدلاليّ بين العامّي والفصيح) لعبد الله الجبوري، و(معجم

ألفاظ الحياة العامة في الأردن) الصادر عن مجمع اللغة العربية الأردني، و(معجم ألفاظ اللغة العربية المعاصرة) لأحمد مختار عمر، و(الكنيات العامة المصرية) لأشرف عزيز، و(معجم التراث والألفاظ الشعبية) لأحمد سليم الزول، و(خطاب الرشوة) و(الشباب ولغة العصر) لنادر سراج. وقد صدرت هذه الدراسات عن حقيقتين لسانيتين، مفادهما أنّ اللغة وعاء معرفي متجدد، وأنّ الاعتراف بالتطور اللغوي يحافظ على سمات التواصلية والمعاصرة والوحدة في اللغة.

والتواصل بالتعبير الكنائي الحديث وسيلة مركزية في التواصل الإنساني اليومي نحو: (بَلَطَ البحر) كناية عن عدم الاكتراث لموقف الشخص المقابل، و(تحت البلاطة/ على الحديدية/ على الحصيرة/ أكل روح الخلّ) كناية عن الإنسان المعدم الحال، و(معه مال حَبَطُرش/ عظمه ذهب/ فوق الريح) كناية عن الغنى، و(شَلّ/ نَشَرَعِرضه) كناية عن الفضيحة، و(يلعب في الوقت الضائع) كناية عن اللاجدوى من العمل، و(عصر التَّنكة) كناية عن الإيغال في الزمن الماضي، و(هذا ما عندي ونقطة/ خطّ أحمر) كناية عن القول الفصل، و(امرأة حديدية/ فولاذية) كناية عن ثقتها بنفسها وبحسن قراراتها وبرباطة جأشها، و(يريد أن يفصلني على مقاسه) كناية عن مصادرة الرأي واغتيال الشخصية، و(بالع مُوس/ سكين) كناية عن السكوت على مَضَض، و(فلان تحت إبطي/ على قدّ يدي) كناية عن السيطرة عليه، و(زبركه فالت) كناية عن الطيش والنزق، و(يمسح جوخ) كناية عن المجاملة/ النفاق، و(وجهها مُتَفَحّ/ مُتَوَرّد) كناية عن النظارة والصحة الجيدة، و(الأمر شوربة/ سائبة) كناية عن الفوضى وعدم الانضباط، و(بَصَلته محروقة) كناية عن التسرع، و(ورقه مكشوف) كناية عن الوضوح، و(يكترون من الطخّ على الحكومة الجديدة) كناية عن النقد السلبي، وفلانة (مُطَوّبة على اسمه) كناية عن أنها تخصّه وحدة، و(عدّاده على الصفر/ الزيرو) كناية عن

غياب العقل، و(مُخَّه يحتاج إلى فرمته/ غير ال (سوفت وير) كناية عن ضرورة منهجة عمليات التفكير، و(سياسة شد/ ربط الأحزمة) كناية عن الحزم في الأمور أو الاقتصاد في النفقات وضبطها، و(فلان داعس على الأول) كناية عن التمهّل والحيلة، و(فلان داعس على الخامس) كناية عن السرعة، و(بهر الكلام) كناية عن المبالغة فيه، و(هذا إسفين مكين) كناية عن الوشاية والافتراء، و(شقّرت فلانا ودلّته) كناية عن الإقصاء والإهمال، و(نفسيتها/ روحها خضراء) كناية عن الإقبال على الحياة، و(فلان (سندباد) كناية عن كثرة الترحال، و(فلان (مشطوب/ ولا حبة) كناية عن الحمق والجهل، وغيرها؛ لأنّ التواصل بالتعبير الكنائّي الموروث في البلاغة العربيّة وتعليمه في المناهج المدرسية والجامعيّة في ضوء نسبيّته وغربته القيميّة والحضاريّة عن كثير ممّا يحاكي واقع المتعلم، ويلامس خياله قد يفضي إلى مأزق تواصلّي.

ففي سياق تعليم الكناية المأثورة (فلان كثير الرّماد)⁽¹⁷⁾ اليوم للطلبة بوصفها مثالا على الكناية، اجتمع رأي غالبيّهم في متطلّب اللغة العربيّة لطلبة الجامعة الأردنيّة في العينة التي قارب عددها مئتي طالب على أنّها كناية عن صفة الشّره في التّدخين؛ تلك الصفة التي تفضي إلى سناج كثير وسحب من دخان كثيف، وما هجس إلا لعدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة أنّها كناية عن صفة الكرم وحُسن القرى؛ اثنان منهم بوصفهما من طلبة قسم اللغة العربيّة الذين درسوا هذا التعبير الكنائّي في مادة البلاغة العربيّة، وثلاثة من منابت بدويّة نهضوا في بيوت ما تزال على عادة العرب في البذل في إكرام الضيف، ذلك أن هذا التعبير الكنائّي هو الحصيلّة النهائيّة لنارٍ أوقدت في بيت كرم، فكثرفيه الطبخ، وما عزّ الأكلون.

ومع أن العربيّ ما يزال كريما مضيافاً فإنّه اليوم جاز عادة إعداد طعام القرى بإشعال الحطب الذي يخلف رماداً، واستعاض عنها بالطهو على الغاز أو الكهرباء

الذين لا يخلفان أثراً لعملية الطهو، بل كثيراً ما يُعدّ الطعام خارج البيت في مطاعم متخصصة؛ مما يعني غياب السياق التداولي لهذه العادة ممّا أسفر عنه جهل بالمضمون المعرفي لهذا التعبير الكنائي.

وارتبك الطلبة أيضاً في العينة نفسها في دلالة (بعيدة مَهْوَى القُرط) كناية عن صفة طول الرقبة نظراً للمسافة بين شحمة الأذن إلى الكتف، و(أشكوقلة الجرذان في بيتي) كناية عن الفقر إذ ليس في البيت طعام يستجلب الجرذان، ورأوا أن (عريض الوسادة) كناية عن الغباء والبلادة لأن عرض الوسادة يستلزم عرض القفا - هكذا تواتر عن العرب- توازي قولهم اليوم ولاسيما في دول الخليج العربي (كبر الوسادة الليلة) كناية عن الاستغراق في النوم، فيما لم يستطيعوا تخمين معنى (لبس له جلد الأرقم، وقلب له ظهر المجن) كناية عن المجاهرة بالعدوان لأن العربي في وقت السلم كان يجعل باطن الترس المجوف ظاهراً للناس في وقت السلم، ويجعل ظهره إلى الأعداء يتقي به الضربات إذا دعا داعي الحرب، و(انحص من حسب القراريط شاربه) كناية عن الانشغال بالتوافه التي لا ينشغل بها ذوو الهمم، و(ترخي ذيلها على عرقوبي نعامة) كناية عن نحول ساق المرأة وطولهما، و(قرع فلان سنّه) كناية عن الندم.

وقد نجم هذا الارتباك الدلالي وعدم القدرة على التخمين بالمعنى عن سببين: الأول غربة بعض الدوال اللغوية نحو: (الأرقم)، و(القُرط) و(انحص) و(قراريط) و(المجن) عن السياق التداولي مما يعني الجهل بمحملاتها الدلالية، والثاني غربة المحمولات المعرفية في التعبيرات الكنائية عمّا هو معيش، فالتعبير الكنائي تعبير تداولي.

غاية البحث

ينهض البحث بقراءة تحليلية سياقية للخطاب التعبيري الكنائي تقارب الواقع التداولي التواصلي اللغوي، وتحيل إلى معانيه ودلالاته الضمنية ولوازمه، وتستشرف آفاقه وتنوعاته وروافده وفاعليته التخاطبية القيمية في ضوء تعدد المرجعيات وتغيرها، وتباين المراجع اللسانية بين العفوية الدارجة في منطوق أفراد الجماعة البشرية ومقصدية تداولها في بعض الكتابات الصحفية والأدبية وأدب السخرية، وفي ضوء التثاقف القسري بين الأنا والآخر الذي أفضى إلى تغير النسق التصوري لأفراد الجماعة اللغوية في البيئة العربية بعامة والأردنية بخاصة من غير نكران للذات وخصوصيتها.

فإذا كان الاعتراف من الموروث يعني الأصالة في بعض جوانبه، فتضمن التعبيرات الكنائية الجديدة الشائعة: الفصيحة والقابلة للتفصيل في المواقف التواصلية، وتوثيقها ما أمكن في الكتب والمناهج التعليمية وتعليمها يعني المعاصرة؛ ذلك أنه يحول دون صدمة المتلقي الثقافية من جهة، وينأى به عن الحكم بالمعيارية وازدواجية العربية بين الأصالة والمعاصرة، والتصور والتأمل من جهة ثانية، ويحول كفايته اللغوية إلى كفاية تواصلية من جهة ثالثة، ويخلق الدافعية للانتماء المقولي للمجتمع اللغوي التعليمي من جهة رابعة، ويقر بالتطور اللغوي ويدعو إلى ضرورة مراجعة التعبيرات الكنائية التقليدية المستعارة من الموروث، وإخضاعها لقانون الإحلال والاستبدال المحتكم إلى قانون العرض والطلب؛ حيث للدوال والتعبيرات الكنائية تاريخ صلاحية من جهة خامسة؛ ذلك أنها تُسكّ كما تسكّ العملات، وتظل متداولة ما دامت سارية المفعول⁽¹⁸⁾، وكثرة الاستعمال تبلي الألفاظ والتراكيب، وتجعلها عرضة لقصّ أطرافها، تماما كما تبلي العملات المعدنية والورقية التي تتبادلها أيدي البشر⁽¹⁹⁾، فكثير من الدلالات التي سادت في عصور سابقة اهتزت بنيتها الشكلية والقيمية فبليت، وفقدت فاعليتها،

ونبا عنها الذوق المعاصر ولم يعد لها حضور إلا بين جلدتي معجم أو كتاب⁽²⁰⁾، ولا عيب في أن يكون سلوك الكلمة متغيراً، وإنما الشأن في البحث عن نظام هذا التغير، أو سيطرتنا على مجال الأفكار التي تغطيها الكلمة، ... وبعبارة أخرى، ليس تنوع الدلالات فوضى لا يضبطها ضابط⁽²¹⁾

وتكرار استعارة التعبيرات الكنائية من الماضي؛ وهي سياق مجتمعها اجترار وتكرار ضمني للماضي؛ يثي من جهة أولى بنظرة غير موضوعية تبصر قداسة العربية ومحمولاتها لأنها لا تفرق بين لغة القرآن كلام الله تعالى الذي لا يتبدل ولا يتغير، وكلام الإنسان الذي يتبدل ويتغير⁽²²⁾؛ فيختص بعد عموم، ويضيق بعد اتساع، وتنخفض درجة فاعليته بعد علو، ويموت بعد حياة والعكس مستجيباً للواقع وظروفه وتحولاته، ويوهم من جهة ثانية - على حد قول أدونيس - بغياب الخط الزمني/ المسافة الفاصلة بين الأمس واليوم، ويؤكد أننا في مأزق التقليد والخضوع، و"هو مأزق متكرر؛ كما كان شاعر يكرر مجاز شاعر سابق، ممّا يعني احتكار الأفق الخاص للمبدع، ونجل تجربته الخاصة"⁽²³⁾.

وتحديث التعبير الكنائي في الدرس اللغوي إنما هو منهج يتوسل به لتجديد التعبير الكنائي البلاغة العربية، وتقريبه من النسق التصوري للمتلقى؛ ذلك أن الغالب عليه أنه مرآة شعب في مقولاته المختلفة.

واستظهار التعبير الكنائي الحديث في التدريس ليس دعوة إلى نسخ التعبيرات الكنائية البلاغية الموروثة وإعدامها، أو الوقوف عند حدّ إجلالها وتقديرها بوصفها تراثاً لغوياً يُتفاخر به في المناسبات القومية شأنه في هذا شأن الملابس، وبعض الأشغال اليدوية، والأغاني الشعبية، وإنما دعوة إلى الاستجابة لشرعية التغير وسننه، ولتمثلها في السياق التواصلي التعليمي التربوي المناسب تمثلاً سليماً، فلا تكون حجر عثرة في التعليم، ولتكون في علائقية نصية وحدود العصر الذي قيلت

فيه؛ فتغدو لسان عصرنا وزماننا، وشاهدًا أمينًا على حركة الحياة فينا، وناقلا عدلا لمنجزاتنا، كما كانت التعبيرات الكنائية في كتب الأقدمين لسان عصرهم وزمانهم وتجربتهم.

يقول مصطفى ناصف: " ينظر إلى التحديث في ضوء سلطة تنسخ سلطة لا في ضوء حوار متميز من المناظرة والسعي نحو الغلبة ... قسم اللغة العربية في الجامعات العربية يدرس الرموز والمجازات بطريقة فارغة من الاهتمامات العملية والتوجه الثقافي للمجتمع؛ يدرس كل شيء في إطار ضيق لا يخلو من تحكّم أو غيبوبة." (24)

التعبير الكنائي: قراءة في المفهوم

والتعبير الكنائي ههنا منفكّ عن معيارية المفهوم في البلاغة العربية، يحيل إلى كل ما ليس حقيقة بصرف النظر عن معيارية المصطلح، نحو استعارة، وتشبيه، ومجاز، وكناية، وغيرها، ويساهم في بناء نسق داليّ فكريّ تصوّريّ. وهو علامة على المخزون المعرفيّ التداوليّ الخاصّ والعامّ؛ أي هو الأحوال المشاهدة⁽²⁵⁾ أو شاهد الحال كما أطلق عليه رمضان عبد التواب⁽²⁶⁾. إذن هو عنصر معني، والمعنى متغير يستعلن ضرورة الإقرار بأن التغيّر في المقولات المجتمعية لا بدّ من أن ينعكس في التعبير الكنائي الذي قد يفارق بعده الكنائي والجماليّ فيضحي تعبيرًا مجازيًا مستهلكًا⁽²⁷⁾ يقارب الحقيقة كما في أقوالنا: (رأس الكبريت/ اللسان/ القلم/ الموضوع/ الشّارع/ الطلعة/ البصل/ الفجل/ القرنبيط)، و(عين الإبرة/ الباب/ الماء)، و(وجه الشمس/ المخدّة/ البُكسة/ الخير/ الحق/ النحس/ البلد)، و(لسان الباب/ الحذاء)، و(سنّ الثوم/ القلم/ المنشار)، و(أذن الفنجان)، و(يد الباب/ الهاون)، و(ظهر الكرسي/ الورقة)، و(بطن الوادي)، و(كتف البلد)، و(كبد/ قلب الحقيقة)، و(جسم المشكلة)، و(رجل الكرسي)، و(باب الحارة).

و(لبّ الموضوع)، و(عقارب الساعة)، و(ست زبيدة)، و(صبر أيّوب)، و(كرم حاتمّي)، و(ذيل الفستان)، وفلان (عمود البيت)، وفلانة مثل ال (وردة/ غزال/ مُهرة/ قمر/ بدر/ ...). وفلان مثل ال (حصان/ أسد/ الريح/ ثعلب/ ذئب/ ...). و(يمشي على بيض)، و(أنت همزة الوصل بيننا)، و(هذا هو الموضوع من الألف إلى الياء)، و(ألف باء الطبخ)، وغيرها .

ولعله يضحي تعبيرًا كنائياً متعدّد الدلالة في ضوء تعدّد المراجع اللسانية فيقيدها السياق، يقول تمام حسان: "معنى الكلمة في المعجم متعدّد ومحتمل، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدّد بسبب ما في السياق من قرائن تعين على التحديد، وارتباط كل سياق بمقام معيّن يحدّد في ضوء القرائن الحالية"⁽²⁸⁾ على نحو ما في التعبير: (فلان يده طويلة) الذي قد يفيد حقيقة أنّ يده طويلة، أو أنه كريم، أو أنه لصّ، أو أنه كثير الضرب، أو أن له من يعزّز مكانته (مدعوم) فتكون (طويلة) بمعنى (طائلة). ونحو التعبير: (من تحت الطاولة)؛ حيث يحمل معنًى حقيقياً مفاده أن شيئاً ما تحت الطاولة فعلاً، وقد يعني السريّة والكتمان في قضاء الحوائج، وقد يشير – كما هو مألوف في مجتمعنا الأردنيّ- إلى الفقراء الذين اعتادوا أن يشتروا حاجاتهم من الخضروات والفواكه من متاجر البيع الشعبية من تحت الطاولة لأنها ما عادت طازجة فصارت أقل ثمناً، كما أنها قد تحمل دلالة الممنوع عرضه أمام الناس فيوضع تحت الطاولة إخفاء له عن الجمهور.

ونحو: (فلان ناصح) التي تعني (سميئاً) على سبيل الحقيقة، و(فهيماً) على سبيل المجاز ولا سيما في اللهجة المصرية، ونحو: (هذا أكل مَرَضِي) التي تحتل أنه طعام أعدّ حقيقة للمرضى على وفق مواصفات صحيّة معيّنة، كما تحتل مجازاً أنه كأكل المرضى لأنه قليل التوابل والبهارات والدسم، ونحو: (فلان مُصَيّف) التي

قد تقال حقيقة لمن تعجّل الصيف فخفّف من ارتداء الملابس، كما تقال مجازاً لمن لا يستعمل عقله، و(فلان فاحت رائحته) التي تقال حقيقة لمن لا يُعنى بنظافته الشخصية، ومجازاً لمن كان سيئ السمعة نظراً لسلوكه الأخلاقي غير السوي.

وقد يخمل المعنى الحقيقي وينشط المعنى المجازي كما في (فلان يلتّ ويعجن) التي لم تعد تستعمل إلا مجازاً للدلالة على الثثرة، و(ضربة معلّم) التي تدلّ على الحرفيّة في الأداء، و(رأسه طنجرة) التي لا تستعمل إلا مجازاً يتعدّد بين الدلالة على الرأس الكبير، أو العنيد المكابر.

ومردّ هذه المراجع اللسانية السياقية التي تحيل إلى معنى دون معنى قوّة كامنة في الدالّ البؤرة تتباين بين المركزيّة والهامشيّة⁽²⁹⁾ في ضوء تباين مرجعيّات قطبي الخطاب: المرسل والمستقبل.

وهذا التعدّد في الإحالات في التّعابير الكنائيّة بين حقيقة ومجاز، أو مجاز ومجاز يَشي بأنّ التّعابير الكنائيّة تمرّ بالمراحل الآتية:

- المرحلة الأولى: استعمال التّعبير الكنائيّ على سبيل الحقيقة .
- المرحلة الثانية : استعمال التّعبير الكنائيّ على سبيل المجاز .
- المرحلة الثالثة: التّعايش بين التّعبير الحقيقيّ والتّعبير المجازيّ.
- المرحلة الرابعة: تعدّد الاحتمالات الكنائيّة في التّعبير الكنائيّ.
- المرحلة الخامسة: البقاء للأقوى، وغالبًا ما يتفوّق التّعبير الكنائيّ على التّعبير الحقيقيّ.

المرحلة السادسة: يتنزّل التّعبير الكنائيّ منزلة الحقيقة، فيفقد قوّته، ودهشته بسبب الاستهلاك في الاستعمال، ويضحي كالحقيقة تتولّد منه تعابير كنائيّة أُخر، "فالحقيقة متى قلّ استعمالها صارت مجازاً عُرفاً، والمجاز متى كثر صار حقيقة

عُرفاً.⁽³⁰⁾ علماً بأن التعبير الكنائي قد يبدأ من المرحلة الثانية كما في (رأسه طنجرة)، وأن دورة حياة بعض التعبيرات الكنائية قد تتوقّف عند المرحلتين الثالثة أو الرابعة كما في التعبيرين الكنائيين (في حلقي شوكة)، و(فلان يده طويلة).
بواعث التغيّر في التعبير الكنائي وروافده.

ثمّة بواعث من داخل اللغة ومن خارجها تمرّني تصوّرات أفراد الجماعة اللغوية وتجاربهم في الكون والحياة تستعلن حراكاً عفويّاً تلقائياً يحثّهم على إحداث تغيّر في تعبيراتهم الكنائية؛ إذ صُنعت التعبيرات الكنائية بعامة لتثير دهشة المتلقي بعيداً عن الاستعمال الشائع وما قد يصحبه من ملل⁽³¹⁾ نحو: (فلان أخوأخته) في سياق الفخر ببعض النساء اللواتي يوازن الرجال في مواقفهن الشجاعة، و(فلان مُقلّع أسنانه) كناية عن كثرة تجاربه، و(بالع راديو) كناية عن كثرة الكلام

وثمّة كنايات صُنعت نأياً عن التصريح بالتلميح في سياقات الحظر والمنع (التابو) والتأدب والتلفظ؛ ذلك أنّ " التعبير بطريق غير مباشر غالباً ما يعطي المسألة عمقاً وإجلالاً، ويلبسها طراوةً وجمالاً، ويوسّع في أجوائها وأفاقها، ويبعث الإنسان على التفكير وإعمال الذهن في شأنها، ويزيد في حسنّها وقبولها"⁽³²⁾، كقولنا: "فلان ضيف في بيت خالته" كناية عن ال (المخابرات)، وقولنا: (إكرامية/ سُكّرة/ حلوان/ حبة مسك) كناية عن الرشوة⁽³³⁾، وكما يشيع في بعض الأوساط في البلاد العربية التكنية عن المرأة الزوجة بـ" الجماعة/ الحرمة/ أمّ الأولاد/ العائلة/ البيت/ بنت عمّي"⁽³⁴⁾ وزارة الداخلية"، والتكنية عن بيت الزوجية بـ (بيت الطّاعة)، وعن مكان قضاء الحاجة بـ (بيت الراحة)⁽³⁵⁾.

وقد ينزاح أفراد الجماعة اللغوية عن المألوف الشائع في منطوقهم لسدّ الخانات الفارغة حين تعوزهم الحاجة إلى التعبير عن أنساقهم التصورية

الجديدة، وتقصر كفايتهم التواصلية عن ذلك، فيحتالون على السائد المستهلك في لغتهم عبر قرائن المشابهة والمغايرة ويُخْدِثون تعبيرات كنائية تلبي احتياجاتهم نحو: (هذا الأمر جديد طخّ) كناية عن جدة الأمر وأصالته، و(يغرق في شبر ماء) كناية عن عدم خبرته الأمور، و(الخالق الناطق مثل أبيه/ عطسة أبيه) كناية عن المشابهة والمماثلة، و(مثل سواليف الحصيدة) كناية عما يقال للتسلية وتضييع الوقت، و(يمسح جوخ) كناية عن المبالغة في المجاملة، و(عَضَّة كوساية) كناية عن السرعة في إنجاز الأمر.

والشباب؛ أبناء اللغة، باعثٌ مفصليّ على التغير في التعبير الكنائي؛ ففي ضوء ثورة النفط وانفتاحهم على التكنولوجيا وتفاعلهم معها، شاع في منطوقهم تعبيرات كنائية جديدة تمثل عدولا (انزياحًا) عن الحقيقة إلى المجاز نحو: (الوضع زفت) كناية عن سوء الحال، (الولد خام) كناية عن البراءة، و(طافح الديزل) كناية عن الطفر المادي، و(فيوزاته ضاربة)، و(مخه يحتاج إلى شحن، مُفَيِّرْس/ فاتل/ مُجَلِّتَن) كناية عن التعطّل الإدراكي، و(فلان يعمل بالغيار العكسي) كناية عن البطء في العمل، و(فلان مبنشر) كناية عن عدم صلاحيته للعمل.

ولعل النصّ الآتي للكاتب الأردنيّ الساخر أحمد حسن الزعبي مؤشّر على التغيّر الذي قد يصيب بعض التعبيرات الكنائية نظرا للتغير في مقولات المجتمع: "قد لا يكون من باب المصادفة أن تدخل مصطلحات الطاقة، وأسماء المشتقات النفطية في لغتنا الشعبية البسيطة للتعبير عن الحالة العامة، أو وصف شخص معين، أو واقعة محدّدة، فنقول أحيانا إن فلاناً (خالص كازه) كدليل على أن الرجل أرعن ومزاجي ولا يتمتع بأي ذرة حكمة، ونقول إن فلاناً (ماكل ديزل) كدليل قطعيّ أيضاً أنّ الرجل قد وصل إلى ذروة الطفر الماديّ، ثمّ نصِفُ الشخص الذي بلغ به

الغضب أقصى درجاته بقولنا: (مُولَّعة معه على الآخر). وأول عبارة تخطر في بالنا ونحن في قمة الاندهاش هي: (أبوك يا الديزل)، كما قد تصف الزوجة حياتها مع زوجها المتسلط بأنها (زي القطران). إذن، كما تلاحظون فالمشتقات النفطية تدخل في وصف اتزاننا النفسي، ووضعنا المادي، وسلوكنا الشخصي، واندهاشنا ومدى سعادتنا أو تعاستنا. جاءني هذا الخاطر بينما كنت أقرأ تقريراً صحفياً عن ارتفاع سعر طنّ (جفت الزيتون) ليصل إلى 60 ديناراً في بعض المحافظات بعد أن ظلّ زمناً طويلاً يصنّف على أنه نفايات ومادّة عديمة الجدوى يحتار أصحاب المعاصر بكيفية التخلص منها، وذلك بعد أن تهافت ذوو الدخل المحدود، وعديمو الدخل على شرائه، واستخدامه بديلاً جديداً للطاقة، ثم تساءلت: بعد دخول هذه المادة القديمة الجديدة على حياتنا، ماذا سيحلّ بترائنا النفطية؟ هل سنستبدل بكل تلك الأوصاف والانفعالات أوصافاً جديدة لها علاقة بمادة الجفت؟ وهل سنعود ونصف الرجل الأرعن والمزاجي وعديم الحكمة بأنه (خالص جفته)، ثم نصف الآخر الطفران بأن وضعه المالي (ماكل جفت)؟ ثم نعبر بتلقائية (أبوك يا الجفت) إذا ما رأينا أو سمعنا شيئاً خارقاً للعادة. أخبرني صديق أنّ أولى بواكير هذه المصطلحات بدأت بالظهور بعد أن سأل ابنه: "ها يابا إن شاء الله زبطت بالامتحان؟" فردّ الولد: (لا والله يابا، جفّقت)، وتأتي هذه الكلمة كما تلاحظون كبديل لكلمة (زفّقت).⁽³⁶⁾

وفي ضوء تعدّد وسائل الاتصال المرئي والمسموع والتّثاقف مع الآخر عبر اللغات الأجنبية التي يتعلمها الشباب في المدارس والجامعات في بلده الأم أو في بلد اللغة الهدف، ويتابع منجزها عبر ما تنتجه من أفلام ومسلسلات، وما يُنشر لمبدعيها في الشعر والقصة والرواية، "فضح الشّباب العلاقة التّقليديّة مع اللغة"⁽³⁷⁾، فأخذت تشيع بين أبناء العربية تعبيرات كنائية محدثة بالتوليد⁽³⁸⁾ بتفعيل قاعدة

القياس الصوغيّ التي مفادها قوله المازني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"⁽³⁹⁾، نحو: (فلان مُفْلَتَن (Vallatine)) في إشارة لمن يحتفل بعيد الحب (الفالنتاين)، و(شَفَرْت فلاناً ودَلَّتَه (Delete)) كناية عن أنه صار طي النسيان، و(مَكْيَجَة الكذب (Maqyage)) كناية عن تجميله، و(شَوْت/ أَوْت للمحاضرة) و(Shoot/ Out)) كناية عن تجاهلها، و(بَكَّتْ أفكارك (Packet)) كناية عن التكتّم على الأخبار، و(شباب اليوم مبسكتون (Biscuit)) كناية عن هشاشة تكوينهم العضليّ، و(دَوَكْرَة الأفكار (Decoration)) كناية عن تجميلها وحسن صوغها، و(فلان مُبْتَوْن (Between)) بمعنى أنه في الوسط.

يقول فندريس: "إن انتشار اللغة في أقاليم تحتكّ فيها بلغات أخرى يعرّضها لأن تفقد خصائصها الموغلة في الذاتية، والتأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي إلى التغير السريع"⁽⁴⁰⁾.

ويرى جان بريفووجان فرنسو سابليرول: "إن إتقان عدد من اللغات الأجنبية له من دون شك تأثيرٌ على الآليات الفكرية المنتجة للكلام، كما أن الرياضة الذهنية المرتبطة بالانتقال من معجم لغة إلى معجم لغة أخرى يسهّل عملية تنشيط وسائل بناء الوحدات اللغوية في جميع اللغات"⁽⁴¹⁾

وقد ينزع الشباب إلى تعبيرات كنائية جديدة مجارة لذوق العصر، أو تناصاً مع بذخية⁽⁴²⁾ اجتماعية ينغمسون فيها، أو محاولة لَلْفَتِ انتباه المجتمع إلى ذواتهم القلقة المتطلعة إلى التغيّر أيّاً كان شكله، وهم بذالك وإن خالفوا المعيار أحياناً إنما "يتدرّبون دون قصد على معالجة اللغة من أجل إتقانها، ويتم لهم ذلك بالتدرب على طرقها التقليدية في بناء الوحدة المعجمية، ... أو بوسائل أخرى مثل الاقتراض المعدّل أو التعريب،... أو التجديد المعجمي"⁽⁴³⁾، ونحو ذلك قولهم: (زعلطي) كناية عن السيئ لساناً وفعلاً المتمثل أخلاق ذوي الأسبقيات فيحمل

دائماً معه سكيناً أو عصاً، وقد تبدو على وجهه علامات ضلوعه في المشكلات. ونحو (سَلْبَطْجِي) أي متطفل، و(حَفَرْتَلِي) أي رخيص و(دَنْدَرَة) أي فوضى، و(أعطيني على طواحيني)، و(لا تتخوّث يا ملوّث)، و(تسرح بمسرح)، و(إيزي يا عزيزي)، و(يكوز ملبس على لوز)، و(سُتدي سُتدي يا فتى فالإكزامينيشن قد أتى)، و(فنتاستك على البلاستيك)، حيث اللجوء إلى اللعب اللغويّ بالاتباع والمزاوجة والدمج بين الدالّ العربيّ والأجنبيّ في التعبير الواحد وإن لم يكن للكلام معنى.

يقول نادر سراج: "والشباب في هذا لا يهدفون إلى انتزاع الاعتراف بفردانيّتهم اللغوية؛ اقتراضاً أو اقتصاداً أو اختصاراً من مجتمعيهم الأكبر أو من جماعتهم اللغويّة الحاضنة لهم، بقدر ما يرغبون في إثبات ذواتهم القلقة والمتطلّعة إلى التغيّر إلى حدّ ملامسة درجة الثوران ضدّ المؤسّسات المرجعيّة من أهل وبيئة عمل ومدرسة وجامعة وتشكيل سياسيّ ومؤسّسة اللغة بالطبع واحدة من هذه المراجع المستهدفة لا بل في طليعتها"⁽⁴⁴⁾

ولعلّ ما تواتر في الآونة الأخيرة من قصائد ونصوص أخذت تنتشر على مواقع التواصل الإلكترونيّ تدمج بين العربيّ والأجنبيّ يؤكد حالة التوتر اللغوي لدى الشباب، وسعيهم لإثبات ذواتهم عبر منحاهم اللغويّ هذا، ولا سيما أنهم ينشرونه غالباً للتندر والفكاهة، من ذلك مثلاً⁽⁴⁵⁾:

أيا ذا القلب لا تحزن	فذاك الحب (Infection)
فلن تجدي عقاير	ولن تشفيك (Injection)
فكم من عاقل فطن	مضى بالحبّ (Direction)
ستنكره وتنساه	ولن يبقى له (Mention)
ولا يحزنك من باعك	فقد أخطأت (Selection)

ولعل القصيدة الآتية للشاعر راشد عيسى⁽⁴⁶⁾ التي قيلت في سياق نعي لغة الشباب اليوم، والتندر عليهم تُشخص حالة الاغتراب اللغوي، وبذخيتهم الاجتماعية، وبحثمهم عن ذواتهم. يقول⁽⁴⁷⁾:

" وأنا أَتَجَوَّلُ في المُولُ/ دَقَّ بِجَوَالِي مِسْدُ كُولُ/ فَكَّرْتُ قليلا وضرِبْتُ النَّمْبَرُ/
رَدْتُ: كيفك سامي؟ هاي/ شكلك عَم تَشْرَبْ جُوسْ، ولا بتأكل شو كولا/ قُلْتُ لها:
مين الأمورة الخسة الوردة الحلوة/ صُوتك، بيعقد خلاني مَهْسِهْسْ ومهوي/
قالت: احزُرْ..فَكَرْ/ قُلْتُ لها: أنا بدي أَشُوفِك هَلْأ مِشْ أَدِرْ أَصْبُرُ/ بُجَدَّ بُجَدَّ..أَلْي
حبك.. يَسْلَمْ ها الصَّوْت السَّكْرُ/ قالت: هَلْأ صَعْبْ كَثِيرْ كَثِيرُ/ امْبَارْحْ هَرَبْتُ
بِسْتَنَا، وانْخَزَاتْ بِرُكْتَنَا/ وَلِسَانِي بَرَّه المُودُ/ خَلِينَا لَتُمُورُو المَغْرِبُ/ عازِمْتَكْ عَلَى
مَطْعَم دِلْشَصْ فُودُ/ يا الله أَكْلُه شُونَايس .. بيتزا وهمبرغر، وهْت دُوغ وَزِنْجَرُ/
قُلْتُ لها: أُوَكِّي، شُوعَلِيه/ وانقطع الخط.. حاولت أدق عليها..ما جابوب خَطُ/ حين
رُحْتُ إلى البيت فَتَحْتُ الإيميل: فإذا فيه لَتْرُ/ اسْمَعْ يا سامي أنا سُوزِي صَارلي
خاطبتك تُو ييرزُ/ أنا بعرف إنك على طول ملعب..أَلْبُكْ مَلْعَبُ/ إنك مُشَرَّتْ تو
مَتَشْ/ ليش بتعمل هيك.. بْتَمُوت بصوت الصبيّة من أَوَّل تطشُ/ يا ما فَرْمَتَكْ ما
بَنْفَعْ فيك.. رَحْ أَعْمَلْ على طلبي ديليت في آخريوم من ألويكُ/ فَكَّرْتُ قليلا وعملتُ
الربلاي على الفُورُ/ سُوزِي سُوزِي..بليز بليزتيك إْت إيزي، هيك بْتَتَخَلِّي عَنِّي/ على
مَهْلِك..واي/ ياي..ياي..ياي..شكرا إنك بتموتي فِي وَبْتَغَارِي عَلِيّ/ آي لَفْ يو
سوزي خَلِينَا نَتَلَا ناو/ ما تقولي لي ويزوهاؤ/ بَعْدِ المَغْرِبُ/ كُنَّا في أحلى كوفي شَبُ/
أنا مِتْجَلِّي وَمِتْسُوسِحُ/ وسُوزِي طَيْرَانَةُ من الفَرَحَة/ بمزاج تَبْ..تَبْ..تَبْ "

كما رفدت الصحافة والكتابات النقدية السّاخرة المعجم التداولي بكثير من التعبيرات الكنائية الجديدة الجريئة⁽⁴⁸⁾ المنسجمة مع روح العصر وتحولاته في المقولات المختلفة، ولا سيما السياسية، من ذلك (الزواج السياسي بديلا عن

الأحزاب⁽⁴⁹⁾، و(الزواج السياسي علاقات مصاهرة مع مراكز القوى للوصول إلى المناصب العليا)⁽⁵⁰⁾، و(وقف طاحونة الإشاعات الليبية)⁽⁵¹⁾، و(اجتماعات ماراثونية)⁽⁵²⁾، و(تواصل طلب الشعوب إلى بيت الطاعة)⁽⁵³⁾، و(نحن العرب سادة هزّ الذنب)⁽⁵⁴⁾، و(تبحث الحكومة عن شريك استراتيجي)⁽⁵⁵⁾، و(الفارق الطبقي سيتسع وسيصبح الناس مثل الطحين؛ ناس زيرو وناس موحد)⁽⁵⁶⁾، و(هناك ناس (زيرو) أصحاب النفوذ والوظائف العليا واللصوص وتجار الدماء، وناس (موحد) الفقراء وأصحاب الوظائف الدنيا والدخل المهدود والحيل المهدود)⁽⁵⁷⁾، و(بعض السياسات تغير مسارها نتيجة إسفين عابر للقرارات)⁽⁵⁸⁾، و(أما مما يتعلق بالطبخة الانتخابية فعليك أن تنقعي الناخبين طويلا بالوعود الساخنة... في هذه الأثناء اسلقي برنامجك الانتخابي جيدا، ثم ضعي قليلا من الدسم الخطابي عليه ليعطي نكهة...)⁽⁵⁹⁾، و(يحتاج الشعب إلى غسيل دماغ حقيقي)⁽⁶⁰⁾، و(روح الخلّ الذي يصيب المزاج الأردني)⁽⁶¹⁾، و(يهرس هاون الدولة المواطن)⁽⁶²⁾، و(كي لا يصاب عمود فقرات مقالتي بضربة معلم ماهر في القنص وقراءة ما خلف السطور)⁽⁶³⁾، (فالدعاء هنا فشك فاضي وليس من القلب في شيء)⁽⁶⁴⁾، و(حوار الطرشان)⁽⁶⁵⁾، و(اللقى المستعارة)⁽⁶⁶⁾، و(الانغماس في حل الكلمات المتقاطعة)⁽⁶⁷⁾.

وذوو السلطة؛ أيا كانوا؛ علماء أو معلمين، أو زعماء سياسيين ولا سيما الأدباء قادرون على انتزاع اعتراف بتعبيراتهم الكنائية الجديدة، فهم في موقف القوة غالباً ولا سيما التخاطبية التي تخوّلهم التصرف في اللغة⁽⁶⁸⁾، ولعلّ ما أحدثه أحمد فؤاد نجم وأحلام مستغانمي في العصر الحديث من تغيير في التعبيرات الكنائية التي لقيت صدى تداولياً واسعاً بين أفراد الجماعة اللغوية شاهد على تفاعل المجتمع واستجابته للتغير المعرفي والتقني والاجتماعي الذي يتيح خلق وحدات

معجمية وتعبيرية جديدة، نحو: (مثل زوج الاثنين) ⁽⁶⁹⁾ كناية عن التخط، و(كلامي لا هومدهون ولا ورنيش) ⁽⁷⁰⁾ كناية عن الصدق، و(ناس عايزين الحرق بولعة) ⁽⁷¹⁾ كناية عن ضرورة الخلاص، و(ناس ماركات) ⁽⁷²⁾ كناية عن الطبقات والفوارق الاجتماعية، و(أطلق كلابك في الشوارع) ⁽⁷³⁾ كناية عن أتباع رجال السلطة، (ابن نكتة ودم خفيف) ⁽⁷⁴⁾ كناية عن روح الفكاهة، (وأنت منشّف دماغك) ⁽⁷⁵⁾ كناية عن العناد، و(الذكورة النافشة ريشها) ⁽⁷⁶⁾ كناية عن العجب بالنفس، و(أن أصبح شيخاً طريقة) ⁽⁷⁷⁾ كناية عن امتلاك نهج خاص في التعليم، و(كقط يتوق إلى خانقه) ⁽⁷⁸⁾ كناية عن التمسك بمن يلحق لك أذى، و(الإضراب العاطفي المفتوح)، و(التخمة والطفرة العاطفية)، و(الريجيم الهاتفي)، و(الحصار الغذائي) و(المصل الهاتفي) كناية عن التذبذب في العلاقات العاطفية ⁽⁷⁹⁾.

إنّ هذه التعبيرات الكنائية الجديدة المولدة، أو المقترضة، أو المنقولة من الحقيقة إلى المجاز بتخصيص، أو بتعميم شاعت بين فئة الشباب اليوم، وباتت تنتشر إرسالا واستقبالا بين شرائح المجتمع كافة بصرف النظر عن منابهم وأصولهم الجغرافية والثقافية وجنسهم وأعمارهم، يقول نادر سراج: "فالألفاظ والتعابير والمركبات المنتجة أو المعدلة معجمياً أو صوتياً أو تركيبياً أو دلالياً والمولدة بلا انقطاع،... لا تتوالد فقط من لدن الشرائح الشابة في المجتمع، بل هي حصيلة العملية التواصلية المتكاملة لشركاء المجتمع على اختلاف أعمارهم، ونوعهم الجندري، ومنابهم الجغرافية، ومهنتهم وخلفياتهم الثقافية، ونعني بذلك الجمهور العام بمن في ذلك أبناء الضواحي المهمشة، أو قاطنو الأحياء الشعبية مروراً بالنخب السياسية والثقافية والاجتماعية، وصولاً إلى نجوم الفنون والرياضة والأزياء وبالطبع الصحفيين والإعلاميين الناشطين في قطاع الميديا." ⁽⁸⁰⁾

ولئن عزّشيع هذه التعبيرات الكنائية في الأعمال المكتوبة، وانحصر حضورها في منجز عدد قليل جدًا من الأدباء، فيما انتشرت جدًا في المتداول المنطوق فلأنّ الأمر مرهون فقط بالذهنية العربية التي تقدّس ما نصّ عليه السلف، وما تواتر عنهم من تعبيرات كنائية، وتحطّ من شأن التعبيرات الكنائية الجديدة ولا سيما أنها تقال في سياق لا تحتفي فيه بالصوغ الفصيح. على أن اندماج بعض هذه التعبيرات الكنائية باللغة، وتداولها في المكتوب مسألة زمن ولا سيما في ضوء نزوع بعض المعجمات اللغوية إلى رصدّها وتدوينها كما الأمر في معجم اللغة العربية المعاصرة. فقد جاء في مقدمة الكتاب "والمتتبع الآن للغة العربية المعاصرة وما يصيب دلالة مفرداتها من تطوّر مستمرّ، بالإضافة إلى استحداث كلمات جديدة لمسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل يجد أن معظمها لم يثبت في المعاجم بعد، على الرّغم من وفرة عدد من المعاجم المعاصرة، التي يتسم معظمها بالاعتماد الكلي على أعمال السابقين واجترارها عاما بعد عام، حيث تكفي هذه المعاجم بالنقل أو الاختصار أو إعادة الترتيب أحيانا، وهكذا ظل التفكير في جمع ثابّ لمفردات اللغة العربية المعاصرة، وكيفية توظيفها في سياقاتها المتعدّدة، والاهتمام بالتصاحبات الحرّة للكلمات، والتصاحبات المنتظمة، أو المتكررة، والتعبيرات الاصطلاحيّة ظل كلّ ذلك مطلبًا ملِحًا كما ظلّ غيابه قصورًا في صناعة المعجم لحديث" (81)

ومما شاع في المتداول وأُثبت في هذا المعجم تعبير (أجرُمُخه) (82) كناية عن عدم استعماله، و(تنظيم إرهابي أخطبوطي) كناية عن سعة الانتشار، و(جرائم التزوير والبُلطجة/ البُلطجة الدولية) كناية عن الفوضى والتخريب، و(فلان حُقنة) (83) كناية عن الفظاظة، و(دقّ بينهم إسفين) (84) كناية عن الوشاية، و(دقّ على صدره) كناية عن أنه أهل للأمر، و(قطع عليه خطّ الرجعة) كناية عن سدّ

المسالك عليه، و(على رأسه ريشه) كناية عن علو مقامه، و(فلان مُريّش) أي غنيّ، و(بلع ريقه) كناية عن التقاط النفس، و(نشف ريقه) كناية عن إجهاد النفس في أمر ما، و(فحم عليّ) كناية عن غضبه، و(فرعون) كناية عن الطغيان، و(يا فرفور) كناية عن التهمك والسخرية والمداعبة بين الأصدقاء، و(فلان مقصّ) كناية عن كثرة ما يجني عليه من أرباح، أو كثرة نقده الناس، و(فلان مقطوع من شجرة) كناية عن أنه وحيد لا أهل له، و(له كتف في الإدارة) أي سند ودعامة.

ولم يكتف مؤلف المعجم في إثبات هذه التعبيرات في متن المعجم، وإنما تعهدها بملحق خاص في الجزء الأخير تحت عنوان (التعبيرات السياقية) ⁽⁸⁵⁾

مشارب التعابير الكنائية

يستثمر التعبير الكنائيّ في البناء التواصلي على وفق مقصدية ⁽⁸⁶⁾ مخصصة، وهو علامة زمنية ومعرفية ورسالة قيمية أخلاقية؛ والمدقق في ما صدر عن العرب من تعابير كنائية ليلحظ كيف كانت غالبيتها آنذاك صدى لصوت السيف والحرب والفروسية والكرم ومكارم الأخلاق المحمودّة والمذمومة والصفات الجسدية المرغوب فيها أو المرغوب عنها، وهي في غالبيتها عصية الفهم والإدراك على متلقّي اليوم ولا سيما الناشئة؛ نظراً لانزياح داليّ وتقنيّ ومعرفيّ طراً على المنظومة اللغوية ومحمولاتها؛ ولعل الاستشهاد ههنا بقصة الشاعر عليّ بن الجهم الذي مدح الخليفة المتوكل بقوله:

أنت كالكلب في حفاظك للودّ وكالتيس في قرع الخطوب
أنت كالدلولاء عدمناك دلوا من كبار الدلائل كبار الذنوب

بدوالّ وصور تتناصّ مع بيئته الصحراوية المفارقة في جغرافيتها ودوالها الخشنة ومحمولاتها المعرفية والثقافية لبيئة بغداد التي وفد إليها، وهو ما وعاه الخليفة المتوكل فجعله يأمر له بدار قُرْب جسر يطوقها بستانٍ على نهر دجلة؛

فطفق يرقب الناس ويتبصر سلوكهم حتى إذا ما أقام في بغداد ستة أشهر
فاستدعاه بعدها الخليفة المتوكل وطلب إليه أن ينشده بعض شعره، قال:
عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعْدُن لي الشوق القديم ولم أكن سَلَوْتُ ولكن زدتُ جمرًا على جمرِ
سلمن وأسلمن القلوب كأنما تُشكُّ بأطراف المثقفة السمرِ
وقُلن لنا نحن الأهلة إنما تضيء لمن يسري بليل ولا تقري
فلا بذل إلا ما تزود ناظرٌ ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري
لعله يؤكّد هذا الانزياح دالا ومدلولا؛ فقد رقت ألفاظه، وصوره حتى خشي
عليه المتوكل من أن يذوب رقة ولطافة⁽⁸⁷⁾.

إنّ السيف أداة الحرب وعدتها الذي تواتر عليه ما يزيد على ثلاثمئة وصف
واسم،، ما عاد يتداول منها اليوم إلا السيف والحسام تقريبا، ناهيك أنه أداة
معطّلة، صار يُترنّن به بوضعه على الجدران في بعض البيوت والمتاحف بوصفه
رمزا للفروسية العربية. لقد حلّ محلّ السيف الطائرة الحربية والقنبلة بأنواعها،
والبنادق، والمسدسات، والرشاشات، والدبابات، والمدفعية، والصاروخ، والغاز
المسيل للدموع.

والأسد الذي عدّ رمزا للشجاعة والفروسية ما عاد يتداول اليوم من نعوته
الكثيرة إلا الأسد والليث، واكتفى الناس بنعتهم القوي الشجاع بقولهم: (فلان
زلمة)، و(فلان جدع)، و(فلان قدّ حاله)، و(فلان لها).

والكريم ذو القرى كثير الرماد صار يكتفي اليوم بأن يقال إنه (كريم)، أو ك
(حاتم)، بل لربما رأى بعض الناس الكرم مثلبة فوصفوا الكريم بأن: (يده فرطة)،
و(أمواله لا يعرف أين ينفقها)، و(غير تعبان في ماله)، و(ما بيده ليس له)،
و(جيبه مثقوبة).

وفي ضوء هذا يغدو من العسير على أبناء اليوم ولا سيما الطلبة على مقاعد الدراسة أن يحددوا مرمى كثير من التعبيرات الكنائية التي تمثلها المناهج المدرسية في ضوء عدم تداولها دالا ومدلولا نحو قول حسان بن ثابت- رضي الله عنه-⁽⁸⁸⁾:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تَثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ
يُبَارِبْنَ الْأَعْنَةَ مُصْعِدَاتٍ	عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
تَظَلَّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ	تَلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ
أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي	فَأَنْتَ مَجُوفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ
بِأَنَّ سَيُوفَنَا تَرَكْتِكَ عِيدَا	وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتَهَا الْإِمَاءُ

وقوله⁽⁸⁹⁾:

عَفْتُ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عِذْرَاءٍ بَاطِنِهَا خَلَاءُ
دِيَارٍ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ تَعَفَّتْهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ.

وقول المتنبي⁽⁹⁰⁾:

رَحَلْتُ فِكْمَ بَالِكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ	عَلَيَّ وَكَمَ بَالِكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمٍ
وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ	بَأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمَصْمَمِ
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مَقْنَعٍ	عَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مَعْمَمٍ

وكقول امرئ القيس⁽⁹¹⁾:

غَدَائِرُهُ مَسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْعَقَاصُ فِي مِثْنِي وَمَرْسَلٍ
فَأَنِّي لَطَالِبُ الْيَوْمِ أَنْ يَدْرِكَ مَدْلُولُ (النَّقْع) وَ(كُدَاء)، وَ(الْأَعْنَةُ مُصْعِدَاتٍ)،
وَ(الْأَسْلُ الظَّمَاءُ)، وَ(تَلَطَّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ)، وَ(مَجُوفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ)، وَ(ذَاتُ
الْأَصَابِعِ) وَ(الْجَوَاءُ)، وَ(عِذْرَاءُ بَاطِنِهَا خَوَاءُ)، وَ(شَادِنُ)، وَ(ضَيْغَمُ)، وَ(رَبَّةُ الْقُرْطِ)،

(أجزع من ربّ الحسام المصمّم)، و(حبيب مقنّع)، و(حبيب معمم)،
(مستشزرات)، و(تضلّ العقاص في مثنى ومرسل)؟

إن هذه كلها دوالّ وتعبيرات كنائية فقدت صلاحيتها⁽⁹²⁾ اليوم إن جازلنا القول
في ضوء التغير في البنيتين: السطحية والعميقة، والدالية والمدلولية .

واللافت في التعبيرات الكنائية اليوم أنها تنتهي إلى حقول دلالية
استهلاكية⁽⁹³⁾ متنوّعة تشي بالثقافة القسريّة والمساكنة اللغويّة بين اللغة الأم
واللغة التي تمثل مقولات الحياة المختلفة، منها:

أ- حقل أعضاء الجسم نحو:

(جاء بشحمه ولحمه): هو نفسه، و(له أذن من طين وأذن من عجين): يراوغ
في السمع، و(يده فرطة): مسرف، و(يده طويلة): سارق/ ذو سلطة/ طويلة
حقيقة، و(على قدّ يدي): لي عليه دالّة، و(يدي في حلوقهم): متفضل عليهم، و(يد
الهاون): مقبضه، و(يشم على ظهر يده): يتنبأ بالأمر، و(على حطة يدك): لم
تتغيّر. و(غسلت يدي منه): لا جدوى منه، و(رأس الفجل): حبة الفجل، و(رأس
الجميد): زر اللبن الناشف، و(رأس ثقيل): كسلان/ متعب، و(ما طلع معه برأس):
لم يُجدِ نفعًا، و(عين الإبرة): الفتحة التي يدخل منها الخيط، و(عين الغاز): مقدح
النار، و(أذن الفنجان): مقبض الفنجان، و(وجه الجبل): ما يبدو منه، و(وجه
البكسة): أولها، و(سنّ الثوم): حبة الثوم، و(دقّ سنّه على السّفَر): اشتهى
السفر، و(سنّه ماضٍ): قويّ/ شديد، و(سنّه حلو): مقبل على الدنيا بروح طيبة،
و(فلان مقلع أسنانه): حكيم/ ذو تجربة، و(من فم ساكت): يعمل بصمت/ كتوم،
و(عنق الزجاجة): أعلاها قبل الفوهة، و(العين تأكل): للعين شهوتها، و(العين
جوعانة/ شبعانة/ مليانة): العين مسبار القناعة، و(رحت في الرجلين): ناله
العقاب مع الجماعة، و(أفكار عرجاء): أفكار غير مدروسة، و(أصاب كبد/ قلب

الحقيقة): وجد الحقيقة، و(داس لي على طرف): آذاني بشيء ما، و(فلان رجل كرسي): لا قيمة له، و(نمشي على رؤوس أصابعنا): خفية لا يشعر بنا أحد، و(يكلّمنا من رأس أنفه): مغرور، و(واقف بحلقة): يضايقه، و(أرني عرض أكتافك): اغرب عن وجهي، و(لحم أكتافه من خيري): متفضل عليه، و(فلان تحت إبطي): منوط بأمرى وبمشورتى، و(بطنه أجرب): شره/ طماع، و(جسم المشكلة): مجمل المشكلة، و(فلان جلدة): بخيل، و(العمود الفقري للدار): لا يستغنى عنه، و(من لحمه ودمه): من صلبه.

ب- حقل التكنولوجيا والكهرباء والاتصالات والمواصلات، نحو:

(الآلة تعبانة): فيها مشكلات تعوق عملها، و(غير السوفت وير لمخك/ مخك يحتاج إلى فرمته/ فيوزات مخّه ضاربة/ مخّه طاف/ ضاو/ فاتل/ فاصل/ ملطوش): العقل مختلّ، و(بنت لمبة/ نيون) بيضاء شديدة الجمال، و(شفّر مخّه ودلّته): ألغى تفكيره، و(فلان بلدوزر/ جرّافة): قويّ يدّمّر كل ما أمامه، و(يكهرب المخ): يشوش التفكير، و(فلان سكر العداد): حاز على كل شيء، و(مخّه يحتاج إلى شحن/ خارج التغطية): عقله ليس معه، و(عقله كمبيوتر): موسوعي الثقافة، و(جيل رقمي): جيل التكنولوجيا الحديثة، و(جيل البلاي ستيشن/ جيل فلّ أوبشن/ فور باي فور): جيل مرقّه جدّا. و(ظلكّ معي على طول الخطّ): ابق معي دائما من غير انقطاع، و(فلان رويتر): كثير الكلام والأخبار. و(يلعب بعدّاد عمره): مغامر غير مبال، و(فلان داعس): متابع سيره بثقة، و(فلان داعس على الأول): متروّ ومتأنّ في أموره، و(فلان داعس على الخامس): متسرع، و(فلان داعس على كلتش واحد): ذو عجلة من أمره، و(زنبركه فالت): غير منضبط أو متّزن، و(فلان دينمو): دؤوب في العمل، و(بنت وكالة): لا تجارب لها، و(فلان يحتاج قطع غيار): انتهت صلاحيته، (فلان عدّاده قالب): غير سويّ، و(فلانة صاروخ): جميلة حتى

إن أثرها في النفس كأثر الصاروخ في الأذن، و(فلان مكوك): سريع، و(أعطيته الضوء الأخضر): الموافقة، و(زرع خلايا تجسس): تمكين عناصر في مكان ما للتجسس، و(فلان أربعة جيد): حاله ممتاز، و(انقطع لنصه): توقف فجأة عن الاستمرار بأمر ما، و(أكل شاصي): حاله غير جيد، و(جلس كلامك): قل كلاما مستقيم المعنى.

ت- حقل الرياضة والألعاب، نحو:

(فلان أراجوز): مهرج في كلامه وأفعاله، و(جعلته واحد صفر): سيطرت على الوضع، و(جعلته مثل المطرود من الدوري): مهمل، و(يلعب في الوقت الضائع): لا جدوى من عمله، و(الكرة الآن في ملعبك): الأمور في مصلحتك، و(شوت/ أوت لأصحابك): أهملمهم، و(طلع لي بالسحبة/ باليانصيب): مصادفة، و(ورقه مكشوف): واضح، و(ثبتني): أفحمني.

ث- حقل الشخصيات والأساطير، نحو:

(مثل الست بلقيس/ زبيدة/ الملكة فريدة): ذات مكانة عظيمة، و(مسمار جحا): يعرقل الأمور، و(سندباد): كثير الأسفار، و(مثل التتر/ المغول): مخربون، و(فلان هتلر): طاغية، و(كشهريار): محظي عند النساء، (كشهرزاد): محظية عند الرجال، و(مثل شمشون): ذو جبروت، و(معه مصباح علاء الدين): تتحقق أمانيه، و(حكم قرقوش): الجبروت، (مثل مارلين مورنو/ هند رستم): غنجة فائقة الجمال، و(معه مال حبطرش): غني.

ج- حقل الحيوان، نحو:

(مثل الأخطبوط): متشعب، و(قصقص أجنحته): رباه وأعطاه حجمه الحقيقي، و(فلان بيغاء): مقلد، و(مثل البسة المغمضة): لا خبرة له، و(يا بطّة): البنت السمينة، و(فلان بوم/ غراب): نذير شؤم، و(فلان ثعلب): ماكر، و(بنت

جمل): جميلة،، و(فلانة حرباءة): متغيرة المواقف، و(فلانة حية): رقيقة لكنها بليغة الأذى، و(فلان حوت): مسيطر، و(فلان ديك علي): يحاول السيطرة بصراخه، و(هزير ذنب): منافق، و(فلان نفس ريشه): متكبر، و(ريشه منتوف/ مقصوص): أخذ حجمه الحقيقي، و(ينام على ريش نعام): غني، و(كبروا زغاليي): كبر أطفالي (ويكنى بالزغاليل عن النساء المعصرات) ⁽⁹⁴⁾، و(فلان مثل السحلية): يحسن التخلص، و(فلان مثل السلحفاة): بطيء، و(فلان طاووس): متكبر، و(حليب العصفور): الاستحالة، و(غزالته سارحة): هادئ على غير العادة، و(جيل متمسح): بليد، و(مثل الجراد): مدمر يقضي على كل ما في طريقه، و(صارت له قرون): صار قويا ذا بأس، و(خرايش الدجاج): فوضى، وغير مفهوم، و(لعبة القط والفار): المراوغة، و(مثل القرد/ السعدان): كثير الحركة

ح- حقل النبات والأطعمة والأشربة، نحو:

(أكل الأخضر واليابس): الدمار، و(دم بارد): بلا إحساس، و(بصَلْتَه محروقة): السرعة، و(ضع في بطنك بطيخة صيفي): الراحة والاطمئنان، و(بنت توتي فروتي): غضة صغيرة مدللة حلوة، و(يحرق الحشيش): الظلم العاتي، و(أكل روح الخل): سوء الوضع، و(أكل مَرَضِي): لا طعم له، و(فلان استوى): نضج، و(الأمور شوربة): فوضى، و(عضة كوساية): السرعة، و(قصَب مَصّ): نحيل، و(فلانة حلبة): نَمَامَة منحلّة ⁽⁹⁵⁾، و(وصلت معي لأبي موزة): بلغ الأمر أقصى مداه، و(نفسه مُحَمَّضَة): نواياه سيئة، و(فلان دَسِم): غني/ فهِيم، و(سَم بدني): نكد عليّ، و(الموضوع مُبَيَّر): ليس على حقيقته، و(مقطوع من شجرة): بلا عائلة، و(دمك شربات): خفيف الدم، و(رأسه طنجرة): كبير/ يابس، و(دمك غسل): خفيف الدم، و(تالي العنقود): آخر الشيء، و(نهارك قشدة): خير، و(فلان كمّونة): بخيل، و(شحدنا الملح): سوء الحال، و(مالحته/ بيننا ملح وخبز):

العشرة، و(جمعة مشمشية): الوقت الجميل القصير، و(بنت شَقْفَة): بليغة الجمال، و(الرجل شقفة واحدة): عنيد، و(يمشي على بيض / عجين): البطء، و(روحه أخضر من الملوخية): مقبل على الحياة، و(بنت فلفلة): نشيطة جداً، و(جيل الهمبرغر/ جيل ال (تيك أوي)): جيل السرعة، و(بنت خسة): جذابة طويلة.

خ- حقل الطبيعة، نحو:

فوق الريح: غنيّ، و(نجوم الظهر): الاستحالة، و(شمسك عالية): نؤوم، و(فلان صحراوي): القدرة على التحمل، و(فلان مُخَّه مصيف): لا يفكر ولا يبالي، و(تروّ فالمنخفض قادم/ والعواصف في طريقها إليك): الأحداث السيئة، (يومك ضبابيّ): رؤيتك للأمور لن تكون واضحة، و(قَحْمَش من البرد): شدة البرودة، و(يبلّط البحر): الاستحالة، و(لا أشتري سمكا بالبحر): عدم القبض على شيء مادي، و(انعمت أقماره): لا يبصر الأمور.

د- حقل الألوان، نحو:

(فلان أبيض): نقي، و(كذبة بيضاء): لا يترتب عليها ضرر، (ويوقع على بياض): الطمأنينة للأمر، و(دم أزرق): اللامبالاة، و(حظ أسود/ أغبر): حظ سيئ، و(وجهه مُتَفَح): الصحة الجيدة، و(ليلتك سوداء/ كحلي/ أسود من كحل العين): شديد السوء، و(فلان دماغه خضراء): أصيل، و(وجهه مثل الليمونة): المرض، و(هنا خط أحمر): الحظر، و(حمر عينه عليّ): الغضب، و(طريقك خضراء): الخير، و(يده خضراء): له خبرة بالزراعة، و(الرجل الأسود في البيت الأبيض): الرئيس الأمريكي أوباما في القصر الجمهوري في أمريكا.

ذ- حقل النحو وعلامات الترقيم والأرقام، نحو:

(فلان لا محل له من الإعراب/ نكرة): لا قيمة له، و(الضمير الغائب للأفراد): غياب الرقابة الخُلُقِيَّة القِيَمِيَّة، و(صارفي خبركان/ صارفعلا ماضيا) انتهى أمره، و(مثل حرف العلة): هَشَّ وضعيف، و(فلان لا يتعدَّى أن يكون شبه جملة): لا قيمة له، (نحن همزة الوصل/ صلة الوصل بينكم): مؤلّفو الحال، و(هذا ماعندي، ونقطة): انتهى الكلام، و(كلامه مليء بالاستفهام والتعجب): عدم الوضوح، و(الكلام بين قوسين مهم): الكلام كله مهم، و(درست الموضوع من الألف إلى الياء): درست تفاصيله كلها، و(وضعه تحت الصفر): سيئ، و(قبل الشروع في الموضوع عدّ من واحد إلى عشرة): التّأني، و(رسم رقم أحد عشر على جبينه): الغضب، و(جيل الطّغش): جيل المراهقة، و(فلان عجوز لا يجمّع): كثير النسيان والاضطراب، و(ضربة خمّاسي): ضربة شديدة تترك أثر الأصابع الخمسة في الوجه، و(مئة بالمئة): تماما.

ر- حقل ألفاظ الحياة العامّة، نحو:

(فلان بالون): فارغ، و(قاعد على بنك): غني، و(رائحته فاحت): سوء السمعة، و(رشّنا/ زفنا المسؤول): أهان وهذل، و(عقله خُزق): ضيق الأفق، و(كَنّسه): أهمله وطرده، و(جيبته مثقوبة/ مخزوقة): مُسرف، و(مطبّبات الحياة): عثراتها، و(فلانة كعب دائر/ حوامة): كثرة الخروج والزيارات، (غائب طوشة): لا علاقة له بالأمر، (كأنه بالعمى): يغصّ الكلام في حلقة، (عظمه ذهب): غني، و(فلان لزقة): لا يفارقك، و(عصر التنكة): زمن موغل في القدم/ الزمن البدائي، (شلّ/ نشر عريضه): فضحه.

ز- حقل الملابس، نحو:

(بنت ماركا): غنيّة وأصيلة، و(فصّلَه على مقاسه): خَصَّه بما يليق به، و(يمسح جوخ): مجامل ومنافق، و(طوّل بنطلونك): طوّل بالك، و(خيّط بغير هذه المسلّة): كذاب، و(تلبّيس طواق): المراوغة.

س- حقل النفط والاقتصاد، نحو:

(شَلن ينطح شَلن/ قرش نطح قرش/ ليرة تنطح ليرة): الأموال كلها، و(بنت خام): بلا خبرة/ صفحة بيضاء، و(أخو الشَلن/ التعريفة): حذق ملعون، و(مثل القطران/ الزفت): حال سيئ، و(خالص كازه): أرعن لا يُتكل عليه، و(الناس طفحت الديزل): الطفر.

ش- حقل البناء، نحو:

(تحت البلاطة/ على الحديدية): معدم الحال، (فلان مُقَفَّل): لا فائدة من، و(الحال داخل): مستور، (داخل على طلوع): الحال سيئ جدا، (رجل حديدي/ عزيمة فولاذية): إرادته قويّة، و(طوبّني على اسمه): جعلني خاصّته، و(مشي الحائط بالحائط): طلب السترة، و(حائط مائل): لا يعتمد عليه، و(فلان بالوعة/ بلاعة): لا يشبع، و(فلان فوق الطابق): لا علم له بالموضوع، و(طَيّن عيشه): جعل عيشه سيئا، و(من يعطي بالملعقة يعطي بالكريك): شدة العطاء، و(فلان عمود البيت): لا غنى عنه، و(يدق مسمارا في نعش): يخرّب الأمور.

ص- حقل التجميل، نحو:

(حلق له على الناشف): تجاهله بإجحاف، و(حلق له على الناعم): تجاهله بأدب، و(حلق له على الزيرو): تجاهله مخيبا أمله، (ما معه يحلق): مفلس، و(جيل السيليكون): جيل مصنوع غير حقيقي.

ض- حقل الدّوالّ المقترضة المعربة، نحو:

(فلان مُبْنَشِر (Punctur)): متعطّل عن العمل، و(فلان مُسْكُرب (Scrap)): منتهي الصّلاحية، و(الكلام مُدَوَّكِر (Decoration)): مرّتب، و(فَرَمَتَة العقول (Format)): إعادة الترتيب إدخال المعلومات، و(فَلْتَرَة الذاكرة (Filter)): تنقيتها، و(مَكْيَجَة الكلام (Maqyage)): التزيين، و(أفكار مُهَرَمَنَة (Hormone)): النمو غير الطبيعي للأفكار.

ملاحظ واستنتاجات

1- تغدو المساكنة اللغويّة بين الموروث من التعابير الكنائيّة، والجديد المولّد من هذه التعابير بما يتفق مع قاعدة "ما قيس على كلام العرب، فهو من كلام العرب"، عبر آليات التعريب والترجمة والإلحاق والمجاز وتفتيح العاميّ، وبما يتفق مع الذوق الأخلاقيّ العامّ تأكيداً لخصوبة العربية، واستثماراً للطاقات الكامنة فيها في ضوء إمكانيّاتها التوليدية، واعتراقاً بدور الأجيال اللاحقة في إغناء لغتهم بالتعابير الكنائية المتناغمة مع ذواتهم. ونظراً لذلك شاع في اللسان الواحد ازدواجية تداول تعابير كنائية بعضها موروث والآخر مستحدث نحو: (يمشي الهويني) و(يمشي على بيض)، و(يمشي على عجبن) كناية عن التروي، و(زير نساء)، و(شهريار)، و(دنجان) كناية عن الرجل الشهواني، و(إذا الريح مالت/ مال حيث تميل)، و(هزير ذنب)، و(مثل الحربةاء) كناية عن التملق، و(فلان موسوعي)، و(عقله كمبيوتر) كناية عن سعة المعرفة.

2- نزوع أبناء اليوم إلى قانون الإحلال والاستبدال في التعبير الكنائيّ في ضوء التّغير الكميّ والنوعيّ في مقولات الحياة، والفجوة الداليّة والمدلوليّة بين الموروث والمستحدث؛ كاستبدال (غزال/ ظبي) للمرأة فائقة الجمال وإحلال (امرأة صاروخ) محلّها وهي من حقل التكنولوجيا نظراً لعدم حضور (الغزال) و(الظبي)

في بيئتنا الحالية، ونحو استبدال التعبير (عاد بخفي حنين) كناية عن الخيبة والفشل بإحلال (رجع فلان واحدا صفرا)، و(رجع كأنه مطرود من الدوري) وهما من حقل الرياضة محلها، واستبدال التعبير (يطوي الفيافي)، و(لا يلقي العصا عن عاتقه) كناية عن الترحال وإحلال (سندباد) وهي من حقل الأساطير العربية محلها، واستبدال (بسطهم من حرير) كناية عن الغنى بإحلال (عظمه ذهب)، و(ينام على ريش من نعام)، و(في فمه ملعقة من ذهب)، و(ماله لا تأكله نار) وهي من حقل دلالية متنوعة كحقل المعادن النفيسة والمقتنيات النادرة محلها، واستبدال (بسطهم تراب) كناية عن الفقر بإحلال (على الحصيرة)، و(على الحديدية)، و(أكل روح الخل)، و(ما معه ما يخلق به)، و(تحت البلاطة) وهي من حقل ألفاظ الحياة العامة، والمعادن، والتجميل محلها.

3- يخضع التغير في التعبير الكنائي في بنائه الصرفي (على مستوى المفردة)، والتركيب (على مستوى الجملة) لقوانين العربية، لكنه في المستوى الدلالي يبقى حصيلة أعراف المجتمع: الثابتة والمتغيرة، وقد ينشط ويمتد، أو يخمل ويصبح من تاريخ التعبير في العربية.

4- ضرورة التوفيق في مناهج البلاغة العربية في المدارس والجامعات بين التعبيرات الكنائية الموروثة والتعبيرات الكنائية المستحدثة التي تشيع في اللسان بعد تفصيحها لتحقيق صفتي الأصالة والمعاصرة من جهة والمنفعة والتداول من جهة أخرى.

5- ضرورة تضمين التعابير الكنائية الحديثة التي أخذت تنتشر في الشعر العربي الحديث في المناهج التربوية، ولا سيما أنها تؤصل وتعاصر في آن، نحو ذلك، قول الشاعر الأردني راشد عيسى⁽⁹⁶⁾:

انظرُ قرودَ الوقتِ كيفَ زهتُ مع كلِّ قردٍ سيِّدٍ حبلُ

وقوله⁽⁹⁷⁾:

وسَيَّانٍ إنَّ تركضَ بسرعةٍ أرنبٍ وإنَّ أنتَ في إبطاءٍ خطوكَ زاحفُ
فما نصرًا الموهومُ بالركضِ حُلْمَه ولا انتصرتُ بالزحفِ تلكَ السِّلَاحفُ
فالقرود والأرانب والسلاحف تعبيرات كنائية تشيع في لسان العامة تعبيراً عن
السرعة والبطء.

الخاتمة

إنَّ التَّغْيِيرَ في التعابير الكنائية نشاطاً وخمولا في البنيتين: السطحيّة والعميقة،
والمدلولين: الحقيقيّ والمجازيّ سلوك لغويّ طبيعيّ ينتظم أفراد المجتمع بصرف
النظر عن تمايزهم اللغويّ والطبقيّ، وعلامة على تناقضهم القسريّ مع الآخر،
واستجابة أبناء العربيّة لإمكانيّات لغتهم، وإيمانهم بنهوضها للوفاء بحاجاتهم
اللغوية المعبرة عن حراك المجتمع في مقولات الحياة المتنوعة، وتجاوزهم المضمّر
والمعلن لديكتاتورية الزمان والمكان⁽⁹⁸⁾ التي يرسخها الفهم الملتبس لقولة: "هكذا
قالت العرب" فتغرّب وتخرّب أكثر ممّا تعرّب لأنها تبني جداراً مكيّناً بين أبناء اليوم
واحتياجاتهم اللغويّة التي تنتصر لقولة المازني: "ما قيس على كلام العرب، فهو من
كلام العرب".

المصادر والمراجع

- ¹ أدونيس، يا شجرة المعنى، جريدة دار الحياة الإلكترونية، بتاريخ 7/ 11 / 2013
² يُنظر: أدونيس، النظام والكلام، ط2، 2010، دار الآداب، بيروت، ص19. ويقول في ص 80
في الكتاب نفسه: "الآخر العربيّ تخلق حياة وفكرًا عن مرجعيّة النصّ، وارتبط بمرجعيّة

التجربة الحية. ومن هنا، لم تعد الحقيقة بالنسبة إليه موجودة سلفاً يتوارثها ويعلمها. بل لم تعد موجودة. الحقيقة دائماً ليست جاهزة، وإنما هي لكي نكشفها دائماً. وفي هذا سر الحركة المعرفية، وسر التقدم عند الآخر الغربي. حركية تبقى لغة المعرفة في طفولة دائمة، مما يتناقض جذرياً مع الأسس التي توجه معرفتنا ونظرتنا إلى الإنسان والعالم"

³ أدونيس، الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والاتباع عند العرب)، ط7، 1994، دار الساقي، بيروت، ج1، ص153

⁴ "إن اللغة قائمة على فقه الكلمة المعبرة عن القيمة؛ أي أن الارتباط متلازم بين اللغة وقيمها، فاللغة تنشئ متعلمها على إتقان استخدام الكلمات، والألفاظ في سياقاتها التعبيرية، والقيمية على وفق ضوابط وقواعد محددة... لأن التفقه يصون الفرد من الانحرافات اللسانية وغيرها... واللغة تحيا وتؤثر إيجاباً في المستمع إذا كانت مشحونة بالقيم، وتنحصر أو تصبح غير فاعلة أو أداة محايدة إذا خلت وتم إفراغها جزئياً من هذا المضمون". ينظر، عزي، عبد الرحمن، فقه اللغة وعنف اللسان، ضمن كتاب (اللسان العربي وإشكالية التلقي، جسور التفاهم والتواصل)، ط1، 2007، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ص13-14.

⁵ ينظر، شندول، محمد، التطور اللغوي في العربية الحديثة، 2012، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، ص15.

⁶ فباللغة يقارب الإنسان العالم، ويفصح عنه، وعن علاقته معه، لهذا كانت اللغة بالطبيعة والضرورة مفتوحة أبداً، خلاقة أبداً، متجددة أبداً. ينظر، أدونيس، النظام والكلام، ص161.

⁷ ينظر، موسى، نهاد؛ اللغة العربية في العصر الحديث، (قيم الثبوت وقوى التحول)، ط1، 2006، دار الشروق، الأردن، ص27.

⁸ الأفراد اللغوية كسائر الأفراد في الكون، ينطبق عليها قانون التطور بمختلف تجلياته، فمن الأفراد اللغوية ما يفرض بقاءه دون تغيير لقوة في ذاته... ومنها ما يستمر في البقاء مع عمليات تكيف...، ومنها ما يضمحل لعدم قدرته على الاستمرار في أداء وظيفته التواصلية؛ من ذلك ما يسمى مماتا ومتروكا، ومنها ما يعد شاذاً أو غريباً، ولكنه يستمر في التداول لكونه مقبولا لذاته في عملية التواصل. ينظر، شندول، محمد، التطور اللغوي في العربية الحديثة، ص2.

⁹ للمزيد ينظر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، المزهري في علوم اللغة العربية، ضبطه وصححه ووضع حواشيه فؤاد علي منصور، 2009، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص88-242، ابن مراد، إبراهيم، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، ط1،

1997، بيروت، ص9.

¹⁰ عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي (مظاهره وعلله وقوانينه)، ط3، 1997، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 10. وينظر، شندول، محمد، التطور اللغوي في العربية الحديثة، ص26.

¹¹ ينظر، كولماكس، فلوريان، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، مراجعة عبد السلام رضوان، ط1، 2000، عدد 263، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص329، وفندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، 1950، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص80.

¹² شندول، محمد، التطور اللغوي في العربية الحديثة، ص23.

¹³ وجع يعرض في الظهر والجنب. ينظر، ابن منظور(711هـ)، ابن منظور(711هـ)، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (زلخ) المصدر نفسه، (زلخ).

¹⁵ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت 395هـ/1005م) الصحابي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص 78.

¹⁶ للمزيد ينظر، السيوطي، المزهر، ج1، ص211-242.

¹⁷ للمزيد حول الكنايات المتداولة قديما وحديثا ينظر، عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ط1، 1987، دار الفرقان، الأردن، ص 245-270.

¹⁸ كولماس، فلوريان، اللغة والاقتصاد، ص8، وص 330.

¹⁹ فندريس، اللغة، 89ص، وص 274، وينظر، كولماس، فلوريان، اللغة والاقتصاد، ص11، وص 75.

²⁰ للمزيد ينظر، أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط6، 1986، دار المعارف، مصر، ص132، وجدعان، فهي، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، 2010، وزارة الثقافة، الأردن، ص31، وعلي، محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ط2، 2007، دار المدار الإسلامي، بيروت، ص199-200.

²¹ ناصف، مصطفى، اللغة والتفسير والتواصل، ط1، 1995، عدد 193، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص50.

²² "غير أنه لم يكن من الضروري لهذا الغرض إضفاء أي طابع غير عادي على اللغة العربية ومحمولاتها الثقافية، والنظر إليها باعتبارها امتدادا للملأ الأعلى أو للتجربة الرحمانية، ذلك أن اللغة الوحيدة التي لها هذا الامتداد هي (لغة الوحي)، أو (كلام الله) نفسه، أما الكلام الآخر

فيجري عليه ما يجري على أي ظاهرة طبيعية خاضعة للتبدل والتغير والتطوير. ولا ينبغي لمنطق كهذا يقلل من شأن اللغة نفسها أو من شأن محمولاتها الثقافية. إن النتيجة الوحيدة التي تترتب على نظر كهذا هي اعتبار التراث إنجازا لا يلزم عنه أي إخلال بالمستوى القيمي الطبيعي للغة نفسها ولدلالاتها، كما لا يلزم عنه أي إخلال بالدور المنوط باللغة في عملية الإحياء القومي، لأن دور اللغة في هذه العملية ليس في ذاته، وإنما اللغة أداة من بين أدوات أخرى تقيم البنیان، وتحدد الملامح". ينظر، جدعان، فهمي، نظرية التراث، ص9.

²³ أدونيس، مقدمة للشعر العربي، ص34

²⁴ ناصف، مصطفى، دنيا من المجاز، ط1، 2008، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص108-139. وينظر، التطاوي، عبد الله، اللغة والمتغير الثقافي؛ الواقع والمستقبل، ط1، 205، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص193-198.

²⁵ ابن جني(392)، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ص ج2، ص444-470. وتنظر المفاهيم: استعارة ومجاز وكناية وتشبيه وتعرّض في مظانها في: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1980، المكتبة العصرية، بيروت. وابن الأثير(637هـ)، المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، 1990، المكتبة العصرية، بيروت. والقزويني(739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، (دون تاريخ ومكان نشر)، وعباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ط1، 1987، دار الفرقان، الأردن، والميداني، عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية؛ أسسها وعلومها وفنونها، ط1، 1996، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت.

²⁶ عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، ص 155.

²⁷ ينظر، الداية، فايز، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، ط2، 1996، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، سوريا، ص 394. حيث يقول: "إن الاستعارات تموت في التعبيرات الثابتة والحرفية حين يقصرها الاستعمال العادي على سياق واحد".

²⁸ حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، 1985، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص316، وص 339. وينظر، علي، محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص 216. حيث قال: "قد تراكم على الكلمة بعض الدلالات الهامشية الاجتماعية بسبب عامل الزمن بما يحوي من أحوال وظروف ثقافية وحضارية واجتماعية، فتكتسب قوة إيحائية، وتصبح أداة معنية للشعراء في التعبير عن تجاربهم معتمدين في ذلك على الظلال التي تحيط بالكلمة...وأكثر ما

يكون ذلك في أسماء الأعلام الذين برزوا في التاريخ، واشتهروا ببعض الصفات الحميدة أو المذمومة...، ومن أمثال هذه الشخصيات الغنية بالإحياءات بعض الأنبياء كمحمد - صلى الله عليه وسلم- والمسيح وموسى وأيوب... وغيرهم من سائر الحكام والقواد السياسيين كالحجاج بن يوسف والمعتصم والحاكم بأمر الله... والشخصيات التي طغت عليهم بعض الخصال، أو اشتهروا ببعض المواقف الخاصة كعنتر بن شداد وحاتم الطائي وعروة، وكذلك بعض الشخصيات الخرافية والأسطورية كشخصيتي شهرزاد وشهريار وشخصية السندباد

²⁹ ينظر، أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص107. والداية، فايز، علم الدلالة العربي، ص388. وعياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، 2002، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ص119.

³⁰ الجرجاني (471هـ)، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شaker، ط1، 1991، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص398. فالكلمات التي يتكرر استخدامها تتعرض أكثر من غيرها لشحنها من قبل مستخدمي اللغة بطاقات عاطفية قادرة على الإحياء، حيث يكتسب اللفظ إحياءاته من تداوله بين الناس، وكأن كل من يستخدمه يمنحه شيئا من مشاعره، فتتمدد ظلال معناه بما اكتنز من رصيد انفعالي، ويحسن الأدباء بما آخره ذلك اللفظ من دلالة هامشية فيستغلونه. وينظر ابن جني، الخصائص، ج2، ص444.

³¹ ناصف، مصطفى، دنيا من المجاز، ص132، وأنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص131. ويقول بريفو، جان، وسابليرو، جان فرنسوا: "إن لغة لا تعرف أي شكل من أشكال التوليد تعتبر لغة ميتة، لذلك لا يمكن الاعتراض على حقيقة مفادها أن تاريخ لغاتنا كلها إنما هو باختصار تاريخ مولداتها". ينظر، المولد دراسة في بناء الألفاظ، ترجمة خالد جهمية، ط1، 2010، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ص19.

³² فاضلي، محمد، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة، 1365هـ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران، ص357.

³³ للمزيد ينظر، سراج، نادر، خطاب الرشوة؛ دراسة لغوية اجتماعية، ط1، 2008، دار رياض الرئيس، بيروت، ص53 وما بعدها

³⁴ وقد ذكر العزيزي أن المجتمع يقول: ابن عمي عن الزوج، وبنت عمي عن الزوجة؛ لأن أبناء العمومة غالبا ما يتزاوجون. ينظر، العزيزي، روكس، قاموس العادات واللهجات والأوباء الأردنية، ط1، 2004، وزارة الثقافة، الأردن، ج1، ص174.

³⁵ وقد يكتونه بدالاً أجنبيّ (تواليت)، كما يفضلون التعبير عن الملابس الداخلية بدالها الأعجميّ أيضاً (Underwear)

³⁶ الزعبي، أحمد حسن، سوالييف، ط2، 2008، دارورد، الأردن، ص15-16.

³⁷ ناصف، مصطفى، دنيا من المجاز، ص135، حيث قال: "الشباب استخلص نفسه عن اللغة التي عشناها، وراح يستمع إلى التلفزيون والراديو وبعض التعليقات ثم يطرح جانباً ما قرأه وسمعه عن الذين ييكون حظّ الشباب من اللغة. من حقّهم أن يكفّوا عن هذا البكاء. الشباب فضح العلاقة التقليديّة مع اللغة".

³⁸ بريفو، جان، وسابليرول، جان فرنسوا، المولد دراسة في بناء الألفاظ، ص112. وينظر، السبعان، ليلى، لغة الشباب العربي، خطاب عصري يشكل ظاهرة، مجلة العربي، 2014، وزارة الإعلام، الكويت، العدد664، ص10-11.

³⁹ ابن جني(392)، أبو الفتح عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، 1999 دار الكتب العلمية، بيروت، ص175.

⁴⁰ فندريس، اللغة، ص423.

⁴¹ بريفو، جان، وسابليرول، جان فرنسوا، المولد دراسة في بناء الألفاظ، ص113.

⁴² ينظر، النصراوي، الحبيب، التوليد اللغوي في الصحافة العربية الحديثة، ط1، 2010، عالم الكتب الحديث، إربد، ص361.

⁴³ بريفو، جان، وسابليرول، جان فرنسوا، المولد دراسة في بناء الألفاظ، ص23-24، حيث عرض نماذج من التغير في التعبير الكنائسي في الفرنسية.

⁴⁴ سراج، نادر، الشباب ولغة العصر، (دراسة لسانية اجتماعية)، ط1، 2012، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص13.

⁴⁵ ينظر الموقع الإلكتروني <http://shabab.yanasoo.com/t147192.html>

⁴⁶ شاعر أردني معاصر، حاز على عدة جوائز محلية ودولية، وعرف برأئته (رسالة إلى اللغة العربية)، وبتفانيه اللغويّ، صدرت له عدة دواوين شعرية منها: (ما أقل حبيبتي)، و(حفيد الجنّ)، و(حتى لو)، و(عرف الديك)، و(ريشة صقر)، وله سيرة ذاتية روائية بعنوان (مفتاح الباب المخلوع).

⁴⁷ قصيدة أُلقيت في جامعة الزيتونة الأردنية، 2012.

⁴⁸ ينظر، أبو عرجة، تيسير، ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، (تقويم لغة الصحافة العربية اليوم)، ط1، 2000، جامعة البتراء عمان، ص31-32. وينظر، بريفو، جان،

- وسابليروول، جان فرنسوا، المولد دراسة في بناء الألفاظ، ص 110، وكتاب سراج، نادر، خطاب الرشوة: دراسة لغوية اجتماعية.
- 49 صحيفة الغد، تاريخ 2013 /9/16
- 50 المصدر نفسه، تاريخ، 2013 /9 /16
- 51 المصدر نفسه، تاريخ 2013 /9 /16
- 52 المصدر نفسه، تاريخ 2014 /1 /27
- 53 غيشان، يوسف، مواسم التزلج على الجعيد، ط1، 2012، الأهلية، الأردن، ص 89.
- 54 المصدر نفسه، 126
- 55 الزعبي، أحمد حسن، الممعوط، ط2، 2008، دارورد، عمان، ص 13.
- 56 المصدر نفسه، ص 20.
- 57 المصدر نفسه، 20
- 58 المصدر نفسه، 48.
- 59 المصدر نفسه، ص 139.
- 60 الزعبي، أحمد حسن، سوالييف، ص 121.
- 61 خليفات، هند، نسوان ½ كم، ط 1، فضاءات للنشر والتوزيع، 2012، الأردن، ص 246.
- 62 المصدر نفسه، ص 122.
- 63 المصدر نفسه، ص 175.
- 64 المصدر نفسه، ص 197.
- 65 أبو عرجة، تيسير، ندوة اللغة العربية ووسائل الإعلام، ص 38
- 66 المصدر نفسه، ص 38
- 67 المصدر نفسه، ص 38
- 68 ينظر، بريفو، جان، وسابليروول، جان فرانسوا، المولد دراسة في بناء الالفاظ، ص 110.
- 69 قصيدة (استغماية)، موقع أدب <http://www.adab.com>
- 70 قصيدة (شقع بقع)، موقع أدب <http://www.adab.com>
- 71 قصيدة (الكلمات المتقاطعة)، موقع أدب <http://www.adab.com>
- 72 قصيدة (حسبة برما) بمناسبة زيارة ابن الهرمة، موقع أدب <http://www.adab.com>
- 73 قصيدة (شيد قصورك)، موقع أدب <http://www.adab.com>
- 74 قصيدة (كأنك مفيش)، موقع <http://www.el-balad.com/697042>

- ⁷⁵ قصيدة (كأنك مفيش)، موقع <http://www.el-balad.com/697042>
- ⁷⁶ مستغاني، أحلام، نسيان com، ط4، 2010، دار الآداب، بيروت، ص11.
- ⁷⁷ المصدر نفسه، ص21.
- ⁷⁸ المصدر نفسه، ص71 (وهي عبارة شائعة في التراث العربي).
- ⁷⁹ المصدر نفسه، ص163-164.
- ⁸⁰ سراج، نادر، الشباب ولغة العصر، ص30.
- ⁸¹ عمر، أحمد مختار، ط1، 2008، عالم الكتب، القاهرة، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص9.
- ⁸² المصدر نفسه، ج1، (أجر)، و(أخطبوط)، و(بلطج).
- ⁸³ المصدر نفسه، ج1، (حقن). وينظر، العيزي، قاموس العادات واللهجات والأوباد الأردنية، ج1، ص273، حيث قال: الحقنة الإنسان المزعج سواء أكان رجلاً أم أنثى.
- ⁸⁴ عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، (دق)، و(رجع). وج2، (ريش)، و(ريق)، وج3، (فحم)، و(فرعن)، و(فرفر)، و(قص)، و(قطع)، و(كتف).
- ⁸⁵ المصدر نفسه، ج4، ص3043-3258.
- ⁸⁶ فقد عدّ البحيري المقصدية من أهم العلامات النصّية في البناء التواصليّ. ينظر البحيري، سعيد، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط1، 1997، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ص146.
- ⁸⁷ ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، ط2، 1982، منشورات دارر الأفاق الجديدة، بيروت، ص143.
- ⁸⁸ السعافين، إبراهيم، وآخرون، البلاغة والعروض (للفصّل الأول الثانوي الأدبي والشرعي وإضافي للتجاري)، ط1، 1995، المديرية العامة للمناهج وتقنيات التعليم، الأردن، ص46-47.
- ⁸⁹ كنانة، محمد سلمان وآخرون، البلاغة العربية والنقد الأدبي (المستويان الأول والثاني)، وزارة التربية والتعليم، الأردن، ط1، 2006، ص70.
- ⁹⁰ المصدر نفسه، ص48.
- ⁹¹ المصدر نفسه، ص14.
- ⁹² ينظر، أبو زيد، نواري سعود، الدليل النظري في علم الدلالة، ط1، 2007، دار الهدى، الجزائر، ص102-127.

- ⁹³ يقصد بالحقول الدلالية نسق العلاقات المحورية بين مجموعة من الدوال اللغوية. للمزيد ينظر، غاليم، محمد، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة (مبادئ وتحاليل جديدة)، ط1، 2007، دارتوبقال، المغرب، ص 37. وبودوخة، مسعود، السياق والدلالة، ط1، 2012، بيت الحكمة، الجزائر، ص 34-39. وعبابنة، يحيى، والزعبي، أمانة، علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، ط1، 2005، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ص 91-93. وعزوز أحمد، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ط1، 2002، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص41، وخليخ، إبراهيم، العلامة اللغوية وإشكالية المعنى، مجلة أفكار، 2014، وزارة الثقافة الأردنية، الأردن، عدد 300، ص113-115.
- ⁹⁴ العزيزي، روكس، قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية، ج 2، ص25.
- ⁹⁵ المصدر نفسه، ج1، 275.
- ⁹⁶ عيسى، راشد، جبرياء، ط1، 2012، أمانة عمان الكبرى، الأردن، ص109.
- ⁹⁷ المصدر نفسه، ص 57.
- ⁹⁸ للمزيد ينظر، أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، 1978، مكتبة الأنجلو المصرية، ص36. ونعجة، سبي، آفاق الدرس اللغوي في العربية: المبنى والمعنى، ط1، 2014، عالم الكتب الحديث، إربد، ص 153-157.